



• مالك صقور

كلمة أولى

اتحاد الكتاب بيت الجميع

منذ زمن بعيد، كنت أود أن أكتب موضوعاً عن علاقة، أو عن علاقات الكتاب فيما بينهم. لا لأسجل خيبي من بعضهم، فحسب، بل لأذكر ما عرفه عن علاقات كبار الكتاب العالمين ببعضهم، وعن الصداقة، والزمالة، عن الود الحقيقي، وروح التفاهم الصافي، وتبادل النصائح والنقد الصادق فيما بينهم.. فأنا، واحد، ربما من كثيرين - كانوا يعتقدون أن الكتاب أناس غير عاديين، هكذا تخيلت، وتخيلنا، مثل ذلك الفلاح الذي توهم أن الباشا (باشا). وعندما جاء الباشا إلى الضيعة راكباً فرسه نظر الفلاح إليه والدهشة تكاد تعقد لسانه، فقال: (اعتقدت أن الباشا باشا، طلع الباشا زلي). وهكذا، أنا، كنت أعتقد أن الكاتب، أو الأديب إنسان غير عادي، لما يتمتع به من صفات تميزه عن غيره من الناس. كنا في صغرنا ننظر إلى الشاعر، والكاتب نظرة الإعجاب، كنا نتمنى أن نقرب من مجالس الأدباء، كنا نتمنى أن يوقعوا لنا اسمهم على دفتر من دفاترنا، أو نحلم أن نلتقط صورة معهم. لا أبالغ، إن قلت: كنا نعد الشعراء والكتاب الذين نقرأ لهم في المناهج المدرسية، من الابتدائي، والإعدادي، والثانوي، والجامعي أنهم في مصاف الأنبياء. لكنني اكتشفت مثلي مثل الكثيرين أن الكتاب شريحة من البشر: يأكلون، يشربون، وينامون، ويحبون، ويكرهون، لأنهم في النهاية هم بشر. لكن في يقيني، ما زلت أؤمن بأن الكاتب، هو ضمير الشعب والأمة، كما قيل قديماً وحديثاً، وإذا كان الكاتب فعلاً، وحقاً، هو ضمير الشعب والأمة، كما قيل، وكما افترض، وكما أحب أن يكون أو كما يجب أن يكون فلأن الكاتب: معلم، ومنور، وناشر، ومبشر، ومشاهد، ونذير، ومحرض لفعل الخير، ولأنه يجمع بين هذه الصفات أو يجمع بعضها أو قليلاً منها على الأقل، أرفض رفضاً باتاً، أن يكون الكاتب يجمع صفات معاكسة. قلت إنه بشر، نعم إنه بشر، فهو يجب، ويتألم، ويعاني، وهذا كله يحرضه على الكتابة من أجل الآخرين: أن يحب ويكره، هذا أمر عادي، لكن أن يكره الكاتب لدرجة الحقد، أن يحقد الكاتب لدرجة التدمير، أن يحقد الكاتب لدرجة الأذى بالآخر، أو بزميل، فهذا الأمر غير عادي. إن الأخلاق تحرم على الإنسان، الغش، والكذب والنفاق، والانتهازية، والتميمة، هذا بالنسبة للإنسان العادي، فكيف بالكاتب الذي يفترض أن يكون نبزاساً، وقُدوة، ومثالاً صالحاً، للقراء، وفي المناهج المدرسية للتلاميذ، والطلاب، إذ يجب أن يكون مثلاً أعلى!!

أعرف، كما غيري، ثمة أمراً يُسمى (غيرة الكار)، لكن هذه الغيرة عند الأسوياء - إن جاز التعبير - يجب أن تحرض على المنافسة الشريفة، وأن تكون حافزاً للإبداع، لأن الغيرة المشوية بالحسد تنعكس على صاحبها، بالضرر والأذى.. وفي يقيني، أن الجميع من الزملاء الأكارم يفهمون ما أومي إليه ولماذا أتطرق إلى هذا الأمر، في هذه الأيام. هذا أمر.

أما الأمر الثاني، الذي أود أن أذكره وأذكر به، فهو أن الكتاب السوريين، والمثقفين عموماً سيحتفلون هذا العام بالذكرى الخمسين لتأسيس الاتحاد: «اليوبيل الذهبي»، وبهذه المناسبة، أرى أنه من الواجب التذكير بما جاء في بيان تأسيس اتحادنا: «سيكون تأسيس اتحاد الكتاب العرب، في القطر العربي السوري، نقطة انطلاق حقيقية لانتعاش أدب عربي تقدمي، يبدعه الكاتب العربي الحر الملتزم بقضايا أمته المصرية. إن قيام اتحاد الكتاب العرب في القطر العربي السوري، ليس إلا تلبية لحاجة ماسة تلوح من خلالها جميع الأزمات التي يعانيها الكاتب منذ عشرات السنين. الافتقار إلى مناخ ثقافي ملائم يساعده على الإنتاج الجيد، عدم الاعتراف بدوره في المجتمع، فقدان الشروط التي تتيح له حرية التعبير والنشر والانصراف إلى العمل الفكري وضمان المستقبل.

وإيماناً بالدور الفعال الذي يستطيع الكاتب أن يؤديه في تعميق التجارب الفكرية والأدبية، وازدهار الحياة الاجتماعية، يعهد اتحاد الكتاب العرب في القطر العربي السوري إلى خلق الشروط المادية والمعنوية التي تتيح للكاتب سبيل التجربة الصادقة، والإنتاج المبدع، ويعد جميع كتاب القطر جديرين بمهمة العمل المشترك من أجل مستقبل أفضل للحياة الثقافية في هذا الجزء من الوطن العربي».

هذا جزء يسير مما جاء في بيان التأسيس.

والأمر الثالث الذي يجب أن أؤكد:

إن اتحاد الكتاب هو بيت الجميع

وكما كان الكتاب خلال هذه الحرب الظالمة جنود الوطن جنباً إلى جنب مع الجيش العربي السوري الذي طهر الوطن من رجس الإرهاب سيبقى الكتاب يفضحون الفكر التكفيرى الظلامي الدخيل إلى وطننا، متابعين مسيرتهم الإبداعية التي تعلي من شأن الوطن والإنسان.

من وحي آذار

• د. سليم بركات - ص 2

دمشق الأربعينيات

• نصر الدين البحرة - ص 3

ثورة آذار في ذكراها السادسة والخمسين

• د. علي دياب - ص 6

شمس الحضارة تسطع على الغرب

• عبد الباقي أحمد خلف - ص 7



عمل نحتي للفنان التشكيلي
محمد عبد الرزاق بجاج

من وحي أذار الثورة

• د. سليم بركات

مواجهة التحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي الإرهابي دون مساومة أو مهادنة، أو تراجع، وفي الوقت الذي نجد فيه الوطن العربي مزق متنافرة تدان فيه دعوة الوحدة وتتهم الأفكار الاشتراكية بالإلحاد وفي أغلب ربوعه تحارب القومية العربية بالإقليمية أو باسم الدين والطائفية... لقد أصبحت سورية البعث من خلال صمودها في مواجهة هذه الحرب الكونية الإرهابية عليها وجه العرب المناضل وصوتهم الصادق المدوي وإرادتهم الحرة الشامخة، إنها تتكلم باسم العرب لا لأنهم منحوها هذا الحق، بل لأنها أثبتت وجودها في ميادين القتال دفاعاً عن العرب، وفي ميادين المسؤولية القومية لأنها تتحرك مع كل قطر عربي يدافع عن قضيته العادلة، إنها مع فلسطين كما هي مع سورية وهي مع أي قطر عربي يدافع عن حريته وكرامته، كما هي مع كل محافظة من محافظات سورية.

ما غاب عن سورية البعث يوماً شعار الوحدة رغم التآمر عليها وتعرضها لأشرس الهجمات وأعتى المؤامرات، ما توقفت سورية البعث يوماً عن حمل لواء التضامن العربي سبباً لمنع العرب من التمزق والافتتال، ومن ثم كيف تتوقف وهي تمتلك قيادة النضال العربي ضد التحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي الذي يسعى لإركام سورية وهو يعتقد أن في إركامها سقوط العرب، ودفعهم نحو الاستسلام والذل والهوان، لا يوجد سبب لهذه الحرب الكونية الإرهابية التي تستهدف سورية إلا لأنها رفضت التبعية والاستسلام والتهديدات وكل أسباب العدوان ليس للمحافظة على سورية فقط، وإنما للمحافظة على العرب وعلى حقوقهم وفي طليعتها الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني في أرضه المغتصبة من قبل الاستعمار الصهيوني الاستيطاني.

بقي أن نقول لا ثورة دون قيادة تعطيها القوة والإبداع وعندما تتخذ دمشق الثورة قرارها اليوم بقيادة الرئيس بشار الأسد في مواجهة التحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي الإرهابي ومعه محور المقاومة، فإنها لا تصدره قناعة قطرية، ولا تنشده من ورائه مصلحة سورية فقط وإنما تتخذه من خلال المصلحة الوطنية القومية العربية، وهذا يعني أن خروج قرار الصمود من دمشق هو تعبير عن إرادة العرب ومن أجل العرب كيف لا والشعب العربي السوري يقول فلسطين أولاً والجولان ثانياً، كيف لا وكل مخططات إسرائيل والرجعية العربية تنصب على سورية من أجل إخضاعها لمشاريع التصفية والتبعية. ألا يعني هذا أن سورية هي قلعة الصمود العربي وأنها تمثل الثورة العربية التي تحول طاقات النضال العربي على امتداد الوطن العربي لمصلحة العرب، وبالتالي لو لم تكن سورية هي من يمزق المخططات الأمريكية الإسرائيلية الرجعية ويرميها في سلة المهملات لما وجهت إليها بيانات التهديد والوعيد، يقول القائد المؤسس حافظ الأسد: قلما تعرضت ثورة مثل ما تعرضت له ثورة الثامن من آذار من صعاب وتحديات، بيد أن المصاعب والتحديات هي امتحان للثورات واختبار لصلابتها وأصلحتها، بوركت للبعث ثورته في آذار، وبورك للشعب العربي ثورة آذار، ومبارك للشعب العربي السوري وجيشه الباسل انتصاراته في ذكرى آذار بقيادة الرئيس بشار الأسد.

”

ما غاب عن سورية البعث يوماً شعار الوحدة

رغم التآمر عليها وتعرضها لأشرس الهجمات

وأعتى المؤامرات،

”

أنها التصميم الدائم على تصحيح كل خطأ في مسيرة الثورة لتبقى على صواب دائم وفي حركة بعيدة عن الرخمود حتى لا تتحول إلى حدث عادي.

تميزت ثورة الثامن من آذار عن كل ما سبقها بأنها كانت واضحة، لأنها اتخذت من دستور حزب البعث العربي الاشتراكي موجهاً لسياستها، فالتزمت به وأدانت كل توجه يتحرف عنه وعن رسالته وتقاليدته وأخلاقياته، ولأنها جماهيرية فقد تميزت على أنها تمثل روح الشعب العربي وفكره وهدفه وقضاياه، وكيف لا تكون هذه الروح وهي تجمع الكادحين من عمال وفلاحين ومهنيين... وبالتالي كيف لا تكون ذلك وهي حزب مناضل وجيش عقائدي، كان وراء هذا الحدث العظيم.

لم تقف هذه الثورة عند حدود الشعارات وإنما تعدت ذلك إلى ساحات النضال والقتال ولاسيما بعد الحركة التصحيحية التي قادها القائد المؤسس حافظ الأسد حيث أصبحت الوجه العربي المناضل للأمة العربية من المحيط إلى الخليج، أخذت حجمها من خلال حربها في تشرين التحرير 1973، إلى جانب القطر العربي المصري في مواجهة العدو الصهيوني المدعوم من قبل الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم أليس من رحم تشرين ولدت المقاومة؟ كيف لا وسورية قلب محور المقاومة مازالت بقيادة الرئيس بشار الأسد في الساح تمثل شموخ العرب وابعاءهم، وعزتهم، وثقتهم بأنفسهم في

”

حزب البعث العربي الاشتراكي كان وما

زال درع ثورة الثامن من آذار، فهو من فجرها

وتصدى لأعدائها

”

البعث لغة هو الحياة الجديدة، والبعث العربي رفض الواقع وإدانتته من أجل واقع أفضل، يمثل حياة جديدة للأمة العربية، حياة ترفض نضال القمة سبباً للبعث، وتقبل نضال الجماهير الشعبية سبباً لها. بعث عربي اشتراكي، يرفض التبشير بالمبادئ من خلال الشعارات لأنه يبشر بالنضال المسؤول مخلصاً للوطن العربي والأمة العربية.

ما عالج البعث القضايا القطرية يوماً إلا وهو مخلصاً للقضايا القومية، منذ ثورة الثامن من آذار وحتى يومنا هذا، فتورته كانت ضد الانفصال وهذا يعني أنها مع الوحدة، وضد الباطل، وهذا يعني أنها مع الحق، وضد البرجوازية الرأسمالية، وهذا يعني أنها مع الشعب الكادح، وضد الامبريالية والصهيونية، وهذا يعني أنها ضد الهيمنة والعدوان، وضد العبودية، وهذا يعني أنها مع الحرية، وضد الاستغلال، وهذا يعني أنها مع العدالة، وضد الفوضى، وهذا يعني أنها مع القانون، وضد الإرهاب، وهذا يعني أنها مع الإنسانية.

حزب البعث العربي الاشتراكي كان وما زال درع ثورة الثامن من آذار، فهو من فجرها وتصدى لأعدائها في ظروف صعبة، ولا يصمد في الظروف الصعبة سوى من يضحى من أجل الثورة وأهدافها، ولا يتبنى الثورة سوى الثوار الذين عرفوا بالعباءة، والعباءة أبرز ميزات الثورة، وفيه ميزة النضال نحو التطور والتجديد، وفي التجديد تتجمع ميزات الثورة، ولو وقفت ثورة الثامن من آذار عند الحدود التي بدأت بها لما كانت ثورة، وربما كانت انقلاباً عسكرياً ليس أكثر، أما و أنها تحمل رسالة نضالية متجددة في دنيا العرب، فهي ثورة وتمتلك مقومات الثورة.

شهدت سورية عبر التاريخ انتصارات وطنية قومية كانت موضع اهتمام الشعب، ولكن مع مرور الزمن قد يعرض الشعب عن إحياء ذكرى معينة ليس جحوداً بها أو تنكراً لها بل لأن ما تلاها من مواقف نضالية وانتصارات وطنية قد يفوق أهمية وقيمة معطيات الأممس. الأمر الذي يبقي في ساح الذكريات من هو الأكثر أهمية، وثورة الثامن من آذار تحتل مثل هذه الأهمية لأسباب منها أنها جاءت رداً على الانفصال كنظام وعقلية وسلوك وسياسة، ومنها أنها حركة عربية وحدوية رفضت الإقليمية والإقليميين، كما رفضت الدجل بانهاؤها حكم الطبقة الرجعية العميلة، ولاسيما بعد أن أعلنت منهجها الذي أذن الإقليمية لصالح الوحدة، وأكد الالتزام بالعدالة والاشتراكية والجماهير الكادحة، رافضاً الاستغلال ونفوذ الإقطاع والبرجوازية، ومنها أنها ارتقت بجماهير الشعب نحو تعزيز العمل القومي العربي لتصبح من خلال ذلك أم الحركات القومية الاشتراكية التقدمية في الوطن العربي رغم التناقضات بين الثوار وأدعياء الثورة تناقض كاد أن يسلبها وجودها لولا انتفاضة شباط 1966، التي تجاوزت أخطاء الماضي بكل بسالة وشجاعة ووضوح. وما أن وقعت هذه الانتفاضة أسيرة التناقض حتى جاء التصحيح الجديد إنقاذاً لها من التردى، بعد حركة السادس عشر من تشرين الثاني التصحيحية عام 1970 بقيادة القائد المؤسس حافظ الأسد. ومنها فهم هذه الذكرى على

الفكر السياسي في عدها الجديد

ALFIKR ALSIYASI

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدقيق
فكر السياسي
عدد 69 - شهر 09 - 2019

محرران في العدد
الأحزاب والمنظمات والكتابات العربية السورية
محرران في العدد
محرران في العدد
محرران في العدد
محرران في العدد

والاختلاف، عبد الحميد غانم؛ يهودية الدولة وأثرها في قيام الكيان واستمراره، إيلين كوركو(ترجمة عن وكالة تسنيم)؛ انسحاب ترامب من سورية خدعة لاستقطاب قاعدته السياسية، جيهان جهاد محمد؛ قراءة في كتاب حدائق الديمقراطية، الأرقم الزعبي؛ الحاجة والمواطنة (نحن وأنتم)

القمة الاقتصادية العربية - بيروت 2019، د. عيسى الشماس؛ دور الإعلام الوطني في مواجهة التطرف، د. علي دياب؛ تحديات ثقافة التنوير، د. سليم بركات؛ فلسطين في عين الغائب الحاضر جمال عبد الناصر، زبير سلطان؛ بلاك ووتر وحروبها القذرة، د. محمد علي جمعة؛ ما بين ثقافة الخلاف

الوقت الراهن. وشارك في الملف كل من: حنين نمر، جمال القادري، د. علي دياب، د. بسام أبو عبدالله، ميس كريدي، نبيل فوزات نوفل، د. إبراهيم أحمد سعيد. كما تضمّن العدد مجموعة من الدراسات السياسية والفكرية والمتابعات والقراءات لكل من: د. مصطفى عبدالله الكفري؛ مؤتمر

صدر عن اتحاد الكتاب العرب العدد (69) من مجلة الفكر السياسي الفصلية وقد تضمن ملقا عن الندوة التي أقامتها المجلة تحت عنوان: الأحزاب والمنظمات والنقابات ودورها في المجتمع العربي السوري) استهلها رئيس التحرير د. جابر سلمان بكلمة ألقى فيها الضوء على محاور الندوة وبين أهميتها في

دمشق الأربعينيات

• نصر الدين البحرة

لماذا .. دمشق الأربعينيات، هذه التي أريد الحديث عنها؟
قبل كل شيء لا بد من التمهّل والتوقف قليلاً للحديث عن هذا العشق الذي لا حدود له. ليس له مبتدأ ولا خبر. إنه أشبه بسطح الدائرة، كل نقطة فيه تفضي إلى الأخرى، قد لا تشبهها تماماً، لكنها من الأرض نفسها، والترية ذاتها.

قد يكون في هذا العشق لدمشق - ولا أقول: الحب، لأن العشق درجة متقدمة منه - شيء من التعويض عن حرمان عشته في مرحلة المراهقة، يوم كان بيتنا الأول وبيتنا الثاني في دمشق القديمة. وعندما اضطرت إلى مغادرتها لأمر لا يد لي فيها، صار شأني شأن العشاق الذين لا يمتلكون الاقتراب من حبيبائهم، ولا يمتلكون أن يشاهدوهن، وصارت المسألة تقتصر على رسائل يمكن أن تصل .. وربما لا تصل.

ودمشق هذه العريقة تشبه كثيراً امرأة في غاية الجمال، لكن هذا الجمال مخفي وراء برقع، كلما كشفت جزءاً منه، لاح لك منها جانب أكثر جمالاً. وعلى الرغم من مر العصور والأزمنة، فإن دمشق لم تكشف عن جمالها كله، وما زال المحبون متعلقين بها، يبحثون عن أسرارها، ومخابئ فتنها ومكان سحرها.

ماذا أقول عن دمشق الأربعينيات؟

هل أتحدث عن حجارته وسواقيها، أم .. عن أشجارها وبساتينها وحدائقها وبيوتها وحراراتها وحماماتها ومساجدها وكنائسها وأسواقها هل أتحدث عن ظلالها وأفيانها في عز فصل الصيف، إذ يقدر الإنسان أن يتجول بين أحيائها وأزقتها، دون أن تضربه الشمس القانظة. فهنا ساياب يسط تحتها ظلالاً وارفة .. وهناك عرائش تغطي الدرب، بما يذكر بكلمات المتنبي وهو يصف «شعب بوان»:

وألقى الشرق منها في ثيابي

دنانيرا، تفر من البنان

ذاك أن أشعة الشمس لا تجد لها طريقاً، إلا بين الفرجات الضيقة بين أوراق الشجر، فإذا هي تتساقط على المار، كما لو أنها دنانير ألقيت عليه لفرط صغر مساحتها.

وثمة أطراف البيوت المشرفة على الدرب تبسط هي الأخرى من الأفياء ما يكفي لجعل المسير، في الهجير اللافح، مقبولاً، في هذه الحرارة أو ذلك الرقاق. وكنت أرى سرت، سمعت خريير المياه، في الضفسيات التي تستقبل ما ترسله الطوابع وكان يندر أن يخلو حي أو زقاق من اثنتين منها أو ثلاث.

وكانت الطوابع ذاتها، في مواقعها لصق جدران البيوت الخارجية، من عل أو في الأسفل، والماء يتدفق من فتحتها الكبرى، ويروح يتوزع في القنوات التي تدفعه إلى البيوت.. كانت منهلاً آخر يشيع ضرباً عجيباً من لطف الطقس، على الرغم من الهاجرة، أما البيوت التي تستقبل مياه الطالع، فلم تكن تخلو من فسقية صغيرة أو بركة كبيرة، يسيل الماء عند أطرافها، وكثيراً ما عمد بعضهم إلى تربية أسماك الزينة، خاصة الحمراء، فيها.

في دمشق الأربعينيات، بل والخمسينيات أيضاً من القرن الماضي، كانت دمشق، سواء داخل السور أو خارجه، محتفظة بهويتها المعمارية والاجتماعية والاقتصادية.

وعلى سبيل المثال، فإني أذكر بعض البيوت في حارتنا؛ منذنة الشحم، بيت نظام الذي رمم أخيراً، وهو في سبيله لأن يكون مزاراً. كان في تلك الأيام ماهولاً تقطنه الأسرة التي يحمل اسمها. وبيت السباعي الذي دفعت وزارة الثقافة عام 1960 مليون ليرة لاستملاكه، فرفض صاحبه أحمد حكمت السباعي. كان يقيم فيه هذا الرجل وأهله. وبعد وفاته تداعى بعض أركانه، فرمم في السنوات الأخيرة.

.. وثمة بيت الكسم، ومنه عميد الأسرة الشيخ عطا، وأذكره بقامته الربعة، ولحيته الصهباء، وهو منح على الطالع الذي يوزع الماء على الحي، يصلح من شأنه.

ومنه الدكتور بديع الكسم، المفكر المعروف، والدكتور عبد الرؤوف الكسم المهندس ورئيس وزراء سورية الأسبق. وقد بات هذا البيت الكبير مدرسة للحي عرفت باسم «أحمد مريود».. ثم تداعى وكاد يؤول إلى الخراب.. لولا أنه أصلح شأنه أخيراً...

وكان في الحي عدد من البيوت الكبيرة الجميلة، كبيت القوتلي، وبيت العظم، وبيت الأرنؤوط.. وقد عرفت هذا الأخير جيداً، وزرته كثيراً، لأن ابن صاحبه محمد رحمهما الله كان من لداتي. والمؤسف أنه هدم، مع بيوت تلاصقه، قبل أن تشمل دمشق القديمة داخل السور بالحماية.

وكان بين ضحايا الهدم في هذا الحي الذي ترقد تحته أنقاض القصر الملكي الأرامي والقلعة الأرامية، واحد من خانات دمشق الكثيرة، كان اسمه «خان النحاس». وقد ظل في الأربعينيات من القرن الماضي محافظاً على وظيفته التاريخية، في الطابق الأرضي فعاليات اقتصادية وتجارية، وفي الطابق العلوي فندق ومنازل.

وكان بعض سكان الحي من التجار أو العاملين في التجارة. وبعضهم، وهم كثيرون، عمال يدويون، فالصناعات الآلية لم تكن قد غزت المدينة جيداً.. كما صار حالها فيما بعد. وبعض آخر، وهم أقلية موظفون في الإدارات الحكومية. أما أصحاب الدكاكين، فهم جميعاً من المقيمين في الحي، وكان لكل منهم لقب عرف به، ربما استمد من إحدى صفاته الجسمانية أو المزاجية أو الأخلاقية.. أو مما يحدث أو يلاحظ في دكانه. فهذا أبو رعد. وذاك أبو رسلان (شرب). وذلك عارف (فتوش). وهذا (الزريق ميق). والآخر أبو ضلال. وثمة من يدعى (التوتو) أو الضبع، أو (مخ الشاكرية)، أو (صفر نجح).. أو حلاب النملة، أو الشيخ تاج - نكاية بالشيخ تاج السياسي الذي تعامل مع الفرنسيين فأطلقوا اسمه على ولد عضرط - وهكذا...

وكما هو الحال في الأحياء الأخرى، فإن السكان يعرف بعضهم بعضاً.. كافة. حتى الأولاد الصغار، فما هو ابن فلان وهذه ابنته وتلك أخته أو زوجته.

فإذا ذهب أحدهم إلى المختار، في شأن ما، بادره قائلاً: ألسنت أنت ابن فلان؟

.. وكانت مسألة العرض أمراً لا يستهان به. فإذا شاء أحد الشبان أن يقوم بمغامرة ما، فإنها ينبغي أن تكون في مكان آخر خارج الحي. ولا يجوز لأحد أن يدخل بيته من لا تحمد سيرته، سواء كان ذكراً أم أنثى. فإذا شوهد امرؤ غريب يروح ويجيء في الحي أكثر من مرة، انبرى له من يسائله حتى يجبره على المغادرة مكسور الخاطر، إن لم يقدم عدواً مقبولاً لِحركاته.

كانت نساء الحي، إذا، بمثابة أمهات أو أخوات أو بنات رجال الحي جميعاً، ذاك أن مفهوم الشرف والعرض، لم يكن شأناً نسبياً، فإنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأخلاق الشخصية. وكان من الصعوبة بمكان إنشاء علاقة ما بين رجل وامرأة خارج نطاق المؤسسة الزوجية. ولكن الحياة، في عمقها وسعتها وضرورتها الإنسانية، كانت تفرض الخروج عن هذا الإطار في بعض الأوقات فتقوم علاقات عاطفية في الخفاء، فإذا ظهرت لهذا السبب أو ذاك، فلقد تكون نتيجتها وخيمة أحياناً.

في دمشق الأربعينيات، كان البيت ملاذاً حقيقياً لأفراد الأسرة جميعاً، وعلى الرغم من أن التلفزيون لم يكن معروفاً، إلا في بعض كتب القراءة المدرسية، فإن الراديو ذاته، كان نادر الوجود، وكذلك الكهرباء والماء. فأهل الدار يمضون سهرتهم، على ضوء الكاز، فإذا أراد أحدهم الانتقال في الدار الكبيرة من مكان إلى

آخر اصطحب معه فانوساً زيتياً.

وكان السمر والحكايات وألعاب الورق والبرسيس - أو البرجيس - من لوازم السهر في معظم البيوت، أما الذين تقتضيهم أعمالهم أن يستيقظوا مبكرين، فلم يكونوا يسرفوا على أنفسهم كثيراً في سهر الليل.

لم يكن في حيننا «منذنة الشحم» حينذاك تلفون واحد، في بيت ما. كان هذا الجهاز نصف الألي موجوداً في اثنتين من الدكاكين الكبرى، وربما ثلاث.

وكان ثمة منهل ماء واحد من مياه عين الفيحة، يملأ منه أوانيهم الفخارية: «الحق»، أولئك الذين لم تصل مياه الشفة إلى بيوتهم، وكانوا كثيرين. في بيتنا نحن، حيث كانت تقيم أربع أسر متصلة نسبياً، كانت النساء تقضي حاجات النظافة من ماء البئر، فالببت كان أعلى من أن تصل إليه مياه الطالع، وأمام البئر حوض معدني، نملؤه نحن الأولاد، صبيانا وبنات بالدور. أما.. ماء الشرب، فله برميل خاص نظيف يجري ملؤه من منهل عين الفيحة. كان علي أن أنحدر عن الدرج الحجري الطويل، ثم أصعد، وفي يدي دلو حديدي كبير مملوء ماء صافياً... عدة مرات حتى يمتلئ البرميل.

ولم يكن في الدار حمام، بالمعنى المعروف، كما هو الحال في معظم بيوت دمشق في ذلك العهد. كانت هناك غرفة اصطاح على أنها الحمام، يسخن الماء فيها بتنكة قصدير، على «بابور الكاز». وثمة جرن صغير حجري ووعاء ماء بارد، وآخر لخلط الساخن والبارد، للحصول على ماء، في حرارة تناسب جسد المستحم.

وبين وقت وآخر، تذهب الأسر المتساكنة في بيتنا جميعاً إلى حمام الحي «الناصري». ولما كان عدد المستحمين كبيراً، والحال هذا، فإن أهلنا كانوا يستأجرون الحمام كله. ولكن هذا لا يمنع، أن بعض الرجال كانوا يذهبون وحدهم في أوقات أخرى. وكذلك كانت تفعل النساء، ويصطحبن معهن أولادهن الصغار، في الأوقات المخصصة لكلا الجنسين، كل على حدة..

وعلى سيرة النظافة، فلم يكن ثمة أنظف من حيننا، في شارعه الرئيسي وأزقته المختلفة، التي تضيق أحياناً، أو ترتفع عن المستوى العام للشارع - وهو الشارع المستقيم نفسه - حتى يخيل للمرء أن يد التنظيف لن تطولها.

كان هناك رجلان يتوليان هذه المهمة، وهما من أهل الحي ووظيفتهما البلدية لهذا الغرض، الأول يحمل على عاتقه قربة جلدية ملئت ماء، يفتح فيها بمقدار وهو يسير، في حيث يرش الماء قليلاً قليلاً، لئلا يتطاير الغبار، إذ يهوي زميله الآخر على الأرض بمقشته المصنوعة من الشيخ الجاف. واذ يضرغ الاثنان من مهمتهما يحين دور «مفتش البلدية» الذي يأتي على دراجته، بثيابه الخاصة الرسمية وقبعته، ليتفقد حسن سير العمل.

من جانب آخر، فإن الأمية كانت متفشية بين رجال الحي ونسائه - بالطبع - وأبنائه. وأذكر أن عدداً من لداتي غادروا المقاعد المدرسية، من الصفوف الأولى، فعمل أحدهم أجييراً عند خضري في الحي، وآخر التحق بدكان والده الحلاب، وثالث اشتغل في الضرن.. ورابع أخذ مكاناً له عند حداد.. ألخ.

كان لبعض أقربائنا شاب التحق بالقوات البريطانية في مصر جندياً، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، لكنه مع ذلك، كان يجد بين زملائه، من يملئ عليه رسالة إلى أهله. ولدى وصولها، كان هؤلاء يستدعونني وأنا في الصف الثالث الابتدائي - عام 1943 - كي أقرأ الرسالة وأكتب الجواب. ثمة أمر في دمشق الأربعينيات، لفت نظري على نحو خاص في حيننا المذكور - منذنة الشحم - وأنا واثق من أنه كان يجري، في هذا الشكل أو ذاك، في الأحياء الأخرى. ذاك أن بعض الرجال كانوا يشربون الخمرة - ولا سيما العرق - إلى درجة الانطواء. وعندئذ يظهر الواحد منهم متحدياً

من يعرف ومن لا يعرف، دون سبب وجيه أو معقول. وربما التقى بأخر، يحمل في نفسه ضغينة ضده، في شأن ما. فيتبادل الاثنان كلمات غاضبة، تنتهي إلى مشاجرة، يصاب فيها أحدهما بمديّة الآخر أو مطواته وتدعى هناك «الموس الكباس» وأذكر أن رجلاً في إحدى هذه المشاجرات، فر أمام غريمه، وقد رآه يريد أن يطعنه، فلقق به هذا..

حتى بلغا حي باب توما.

كان الوقت عندئذ أول المساء، وقد احتشد في ساحة الحي خلق كثير، ضاع في زحامه.. ذلك الهارب. ضاع تماماً، ولم يعد غريمه الغاضب يراه.. كان الموس المفتوح ما يزال في يده، فإذا هو يرفع قبضته في الهواء، وينهال بالنصل على بطنه صائحاً:

— أبو دعاس يسحب موسى.. ويرجع بلا دم.

على أن صورة الحي الطيبة الجميلة، لا بد أن تطفئ على هذه الصورة الدامية، وقد سفتها على سبيل الطرافة والفرادة، وكنت قد جعلتها موضوعاً لقصة قصيرة كتبتها قبل سنوات. فقد كان بين أهل الحي حب وتعاطف وتسامح، في حيث يساعد أحدهم الآخر في شؤون حياته، ويغض النظر عن هفوة ندت عنه، أو خطيئة لم يتعمدها. وكان ذلك يتجلى في أنقى أشكاله وأجلاها في شهر رمضان المبارك.

... الآن بعد مرور هذه السنين، فإن قلة قليلة من سكان هذا الحي وسواه في دمشق الأربعينيات، بقيت في منازلها وبيوتها. والأكثرية غادروا إلى مناطق التوسع السكني في الأحياء الجديدة.

وعلى الرغم من انتقالهم إلى الحياة العصرية، بكل ما تحمله من بدائع التكنولوجيا الحديثة، مما كانوا يفتقرون إليه تماماً في ذلك العهد، فإن بعضهم يقف، مثلما كان الشاعر العربي يقف على الأطلال، بقلب باك ودمع واكف، وربما ذهب أحدهم إلى عقد مقارنة بين الحياتين في دمشق القديمة، وفي دمشق الجديدة فأثر الأولى على الثانية، فإذا سألته: لماذا إذا غادرها، ولماذا لا يعود إليها؟ انعقد لسانه من ارتباك وقال: يا ليت.. ولكن..

أهو حنين إلى زمان البساطة والصفاء والحب المجاني؟ أهو حنين إلى روح الأصالة وعبق التراث الضام، أهو استنكار للحياة العصرية بكل ما انطوت عليه من مظاهر، تبدأ في شكل البناء الذي نقيم فيه، وهو غريب عنا وعن تراثنا وتاريخنا.

وتنتهي عند هذه القرية في المكان والزمان، مما يعيشه سكان الأبنية الجديدة، حيث يكاد المقيم ألا يعرف اسم جاره؟ أهو بحث.. عن خلاص ما، عن مجال ينتفض المرء فيه هواءً نقياً، خالياً من شوائب الاغتراب والتوحد والعزلة والذرائعية والأنايية والانغلاق.. مما حملته رياح الحياة الجديدة؟

وهل يمكن أن تكون هذه الخصال السلبية ضريبة على الانتقال من المدينة القديمة إلى الجديدة - ولا أقول: الحديثة - وهل خلت تلك... من هذه الخصال؟

لماذا لا تجدد المدينة القديمة، وتتجدد بذلك حياة الناس الذين يمكن أن يعودوا إليها، مثلما حدث في عدد من المدن الأندلسية في السنوات الأخيرة، وهي التي باتت مقصد السياح والباحثين عن الأصالة والعراقة والتراث؟! أليس توجه بعض المستثمرين إلى طرف دمشق، لتحويل بيوت عريقة قديمة بعد ترميمها وتجديدها مطاعم ومقاصف ومتنديات، وثيق الصلة بهذا الاتجاه؟ هل يمكن أن تكون هذه الأسئلة والتساؤلات نوعاً من النوستالجي Nostalgia التي تعني فيما تعنيه، التعلق المرضي بالمكان..

وهل يمكن أن يكون حب الوطن، والمنزل الأول، والحي القديم، بكل ما ينطوي عليه من ذكريات وأفواس قزح ورؤي ورؤيات مرضاً حبيباً إلي، إذا، هذا المرض، وقديماً قال الشاعر:

كم منزل في الأرض يعيشه الفتى

وحنينه أبداً لأول منزل

الأدب وعبادة الأجداد

• حنا عبود

عبادة الأجداد

لمزيد من التحديد نشير إلى أن الكلام من وحي تجربة جيل من عرب الشمال في النصف الثاني من القرن العشرين، جيل الوعي القومي... في تحديد هوية الانتماء، فلم يكن لنا آباء محددون، ولا أجداد معبودون، بل خليط من الغرب والشرق، ما هب ودب، من غير تمييز بين ثقافة الانتماء وثقافة الاحتواء؛ مما جعل الهوية العربية، ليس فيها خطوط عميقة، ومعالم بارزة. انجرفنا مع الأفكار القومية نظرياً، ورحنا نختر أي بارقة شعرية أو سيرة أدبية تفيدها في "مسيرتنا" القومية، حتى أننا حوينا امرأ القيس لاستنجاهه بقبصر، وشتنا أبا رغال. أما عملياً فمثل الضراخ التي تركض وهي مذبوحة... لا تخطيط ولا هداية عملية، مما أتاح لصوص الانزلاق، الدخول من الباب العريض، يرددون باللسان أصداء الصرخات، وبالأيدي ينتزعون الحناجر. بالأمل نستدرج فنرقص، وبالخبية نعود بها، فرحنا نلتهمى، كذي الرمة، بلقط الحصى والخط في الرمل، فجمعنا الشيوعية والقومية والإنسانية والوجودية وكل الفكر الأيديولوجي... في كيس الساحر، ولم نقدر أن نخرج شيئاً منه، في حين كان "الكبار" ينفذون بالزومبي ما خططوه... وعندما علمتنا الخيبات المتكررة شيئاً مما سميناه وقتها "الانتقاد الذاتي" كان القطار قد فاتنا، وحل عصر العولمة. نظرنا إلى الواقع نظرة مثالية، فطمسنا معالمنا الحقيقية، وبالطباشير رسمنا صورة الغد الوهمية، كالحودة والاشتراكية... وانجرفنا وراء ما صورته أوهام انفعالاتنا، من غير أن نضع الأساس المادي، واليوم ننظر فإذا الهوية تعاني، وإذا الذين كنا نستخف بتجربتهم في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أوعى منا وأفضل. كنا نهزأ من الأفريقيين كيف يؤمنون أن أجدادهم يزورونهم في المناسبات والأعياد، يطوفون أرجاء القبيلة، ويتفقدون أمورها. واليوم لم يزرنا الأجداد، ولا نحن زرناهم، لأن الاندفاع رفع رؤوسنا كثيراً فلم نرعايين الأرض في الأرض تسعى.

كانت عبادة الأجداد القديمة نوعاً من التربية، فالجد السيئ الصيت لا يتسم الأحياء منه عطراً. أما الأنيس الوديع المليح، المثمر الروح بلا كبرياء، والمناخ بلا منة، والمحتفظ بكرامته من دون عنف، فإن سيرته تعطر السهرات والأماسي. ومن هذا النوع يظهر الأبطال وأنصاف الآلهة، أو من يسميهم الباحثون الأبطال الحضاريين. واختيار الأبطال الحضاريين كان في القديم سهلاً، فكل شخص يرتقي ليكون قدوة يعمل بطولتي، يصبح معماً على الجميع، وعمله يصير نهجاً. أما الطقوس النابعة من هذه العقيدة فإنها أداة تواصل، يقال إنهم يتواصلون بالإغماء الذي يعقب الرقص الشعائري... نحن أردنا الإغماء بالوعي، ونشدنا الوعي بالإغماء، فبالوهم نشأنا ومن الوهم سكرنا، فما تواصلنا مع أبطال السلف ولا أعددنا رجال الخلف. كان الشعب البدائي أوعى من جيلنا في اختيار الجدود.

ناقض ومنقوض يقال في هذا الصدد، قيل زمن الرقص على البيادر والمقابر غير زمن الرقص على القارات، وبين الكواكب والمجرات... ثم هل هناك مقاييس في النصف الثاني من القرن العشرين، وكل ما فيه متضارب ومتنافر- عندنا- من السياسة حتى الحياة الفكرية والأعماق الوجدانية؟ لم نقدر على جعل العولمة تنسجم مع القومية، ولا القومية مع النضال العالمي، ولا المحلية مع مبادئ منظمة التجارة العالمية، ولا الحياة الفردية مع ذاتها، وبصورة خاصة في أواخر القرن، ففاتنا نذير العاصفة بعد الانهيار المريع للمعسكر الاشتراكي، حتى ليدش المرء كيف انهار هذا الهيكل

الضخم- المبني قسراً- بطريقة كاريكاتيرية! ألا يمكن أن تكون الدكتاتورية نفسها حاملة للكاريكاتيرية في أعماقها؟ أليست الدكتاتورية هي التي تفرض الكاريكاتيرية بالنعف والإكراه، وهي الطريقة

نظرنا إلى الواقع نظرة مثالية، فطمسنا معالمنا الحقيقية، وبالطباشير رسمنا صورة الغد الوهمية.

٢٢

النموذجية لانهيار الهيكل "المقدس"؟ لماذا لم تناقش الفلسفة اليونانية مسألة ارتباط الدكتاتورية بالكاريكاتورية، فتطرح السؤال: هل ثمة دكتاتورية من دون كاريكاتيرية في كل تاريخ العالم؟ هل علينا انتظار الأدب الروائي في أمريكا اللاتينية حتى نعرف التلازم بينهما؟ بعد الانهيار الكبير للكاريكاتير السوفيتي لم يعد التنوع الفكري من ماركسية ووجودية ونسوية وفرويدية... يعني شيئاً. إن فراغ الانهيار أكبر من كتل أن يسد مسده فكر أو فلسفة أو حزب أو طبقة، لا بد من كتل قارية، أيديولوجيات عابرة للقارات... وهذا ما حدث. هنا جرى الالتفات إلى الماضي والبحث عن أجداد للعبادة، فأبطال الحضارة هنا هم أبطال العبادة. وكلما أكثر أسياد الزومبي من المناديل الحمر، احتدمت معارك الأجداد، واشتدت رقصة المقابر. تأتي بالأجداد ونزرع لهم الظفر والناص، ويشتبكون، ولا يشتكون، حتى يسيل الموت.

ولا بد للكتل القارية من عربات تنقل وحوذيين يعرفون الطرقات والمفاوز، وحدهم يمسكون الأعنة، وحدهم تمنو لهم أعناق الجياد، وحدهم يدهان الكلام بينون المتاهات، وحدهم يجيدون القتل الصامت، وحدهم يتقنون فن الاستدراج، وحدهم يصبغون الرايات ويستدرجون الثيران إلى الحلبات.

فترة التشويش

في ستينات القرن الماضي ظهرت في بلاد الشام التيارات الغربية، من وجودية وفرويدية وماركسية ونسوية... إلى جانب الدراسات الأنتروبولوجية التي تناولت الحياة البدائية، من جيمس فريزر حتى كلود ليفي شتراوس... إلى جانب إحياء تراث النهضة العربية في أواخر القرن التاسع عشر، وقد استمرت حتى منتصف القرن العشرين. وشكلت هذه التيارات كنزاً ثقافياً واسع الطيف، ولكنها كانت متضاربة، فما أفرزنا ثقافة الانتماء عن ثقافة الاحتواء، فاختلطت الأشعة بأطياف لوسيفر. ففي الوقت الذي ترى فيه الدراسات الأنتروبولوجية أننا نغش أنفسنا عندما نعتقد أن ذهنية الإنسان تتطور وتتغير إلى الدرجة التي تنقطع فيها الصلة مع أواصر الماضي، أو عندما نربط التطور البيولوجي والنفسي بالتطور المادي والتكنيكي، أو بتطور

عادات الملابس والمأكول والمشرب، فيضيع كل رهان على الإنسان... نجد بعض الدراسات والفلسفات الأخرى تراهن على الإنسان، وتزدرى الأجداد، بل إنها في معظمها تدين الماضي إدانة شديدة، فالتسوية- مثلاً- لا ترى الماضي إلا اضطهاداً لجنسها واغتصاباً لحقوقها، وازدراء بأنوثتها، فالظلم تاريخها، وميادين الحياة

دروب آلامها، فلا ترى في الجدود إلا جلادين... والماركسية ترى الماضي استغلالاً بشعاً لجهد الناس المتهورين، وما الأجداد الذين صنعوا التاريخ سوى مستبدين، يمثلون الطبقة القامعة لكل ما لا مصلحة لهم فيه. أما الفرويدية فضيحة الوجود البشري، فالابن يكره أباه ويتعلق بأمه، مما يجعل مسألة الأجداد محسومة من الداخل قبل الخارج، فكل النوازع ترمي إلى التخلص من الآباء... الخ والوجودية تقطع أي ارتباط بين الفرد والأجداد، فأنت مسؤول عن أفعالك، صدرت منك، أم استوحيتها من جدك أم من جدتك، والفعل البشري فاعلية في الحاضر، ولا معنى له إن التحق بالماضي، ويفقد تلك الفاعلية العينية. ومن هنا فإنك تشكل كيانك بما تختاره أنت من وجدائك وداخلك، وليس مما يمليه عليك الجدود... وهذا ما ظهر في الأدب والفكر والسياسة، فبات الجيل مثل كريات صغيرة، تتأرجح بحسب الجاذبية، فمرة تنوس إلى هنا ومرة إلى هناك، فتشكل موزاييك ألوان بأشكال كثيرة، لكن بوزن خفيف وحركة قلقة...

وقبل أن ننسى نشير إلى أن المذاهب الفنية من أمثال الفن المجرد والتعبيرية المجردة والحركة الجمالية والحركة التكميلية والحركة الدادائية... كل هذه المذاهب لم تسهم إلا في التشويش الذهني، حيث لم يكن ثمة تطبيق عملي لأي منها، كانت مثل شعارات عيد الشعانين، تعلق على الصدر في الاحتفال وترمى بعده... وما زاد من حدة التشويش الأدبي تلك الخيبات المتوالية في الميادين السياسية والاجتماعية، وقضية حقوق الإنسان التي يمكن القول إنها كانت غائبة عن كهنة المذبح المقدس. ديست القيم واختفى الآباء والأجداد، ولم يحل محلهم سوى الكريات المتأرجحة، المهدومة الوزن تقريباً... لم نمسك المؤصل، ولم نؤصل المستورد... إلى أن حركوا الكتل القارية... فضاعت مزامير الرجاء في زحمة الساحات القارية، وتدفق رغاء الشهوة من فوهة الجحيم الضاغرة... وإليها ملائكة الموت من طيور الفولاذ يرسلون الناس أفواجا، بلا أوراق نعي ولا طقوس جنازة...

البحث عن طوق نجاة

قام جيل سابق بمحاولات عدة بعد فشل المشاريع الاجتماعية والسياسية والفكرية، لاستعادة ما يمكن استعادته من جدوده، فلم يفلح في استعادة أحد. بل أراد أن يستعيد آباءه من رجال النهضة، فما أفلح. ترك كل آباءه وجدوده وراح يبحث عن "مواقف" بارزة في عصر النهضة، عسى أن يتمسك بها فتكون له عوناً في تخفيف الخناق عن عنقه... باختصار فشل في استعادة ما يسمى "خطاب النهضة" وهو خطاب بسيط جداً، الدين لله والوطن للجميع والحرية للفكر، وحق السعادة لكل مواطن... وأضمن وأسمى... ومثل هذه القيم العملية لا بد منها حتى يتم التواصل مع الأجداد، فالأنقياء يستعيدون أجداداً أنقياء، أما الزائغ والمراوغ... فيحصل على الزومبي. فإذا اشتد الصراع القاري عند مفارق الطرق، حيث تنبع كلاب هيكاتي معلنة قدوم العاصفة أو الكارثة، تبعثر الناس فرقاً باسم الدين والمذهب والعرق، فينزلق الأجداد بعيداً عن مشاعر هيكاتي ويلتهمهم ضباب النسيان وتشتبك الألسن وتستهدف شعارات الدجالين أبراج الحقائق فتصدعها، وتنبت للشك جوارح في هذه الأزمنة العفنة، ويصبح ادعاء الأجنبي أقوى من حق العربي، وتنقطع الصلة مع أطياف الماضي، فلا إلهام ولا وحي ولا عمل موحد، بل تهب عواصف الفوضى وتختلط الأسماء... وعندما لا يستعاد الأجداد ولا المواقف ولا الخطاب، يكون قد حل الظرف الذي ينسى فيه المرء كل شيء ولا يفكر إلا بطوق نجاة، فالوقت قصير والميادين ملتحة، وزورق العبور لا تلتقطه الأبصار، فلا يبقى سوى السعي، في وسط هذا اليم الذي يثير كدره الأعجمي، ويصطاد فيه الإفرنجي.

تعزية

فجع الزميل الدكتور الباحث محمد جمعة برحيل زوجته..

رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي يتوجهون إليه بخالص العزاء. راجين من الله عز وجل أن يتغمد الفقيدة بواسع رحمته ويسكنها الجنة، ويلهم أهلها وذويها الصبر والسلوان.

وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون

تعزية

فجع الزميل الأستاذ الأرقم الزعبي باستشهاد ابن عمه الذي كان يقوم بمهمته في أداء واجبه الوطني في ساحة المعركة.

رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي يتوجهون إليه بخالص العزاء. راجين من الله عز وجل أن يتغمد الشهيد بواسع رحمته ويسكنه الجنة، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون

أيام القصص ..!

ومثلما هو كتاب (ألف ليلة و ليلة) العربي.. الذي أعطى المرأة الصدارة في: الكلام، (الثقافة) والجمال، (الصورة الأنثوية) والحضور (الدور)، والمكانة (الرتبة)، والعاطفة (الحب)، فجعلها تفصح عن قدرتها، ومواهبها، ومكنونات نفسها، وأفكارها، وطموحاتها.. فإن كتاب (الديكاميرون) أفرد للمرأة المكانة الأولى لكي تقص وتتأمل، وتفكر، وتسّر، وتحب، وتعشق، وتواعد، وتخرج من قفص المحرمات والتعليمات والأوامر والعادات والأعراف.. لتعيش.. ولتصير كائناتاً آدمياً شأنها شأن الرجل.. وهنا كان سبب إقبال النساء على هذا الكتاب (الديكاميرون).. إقبالاً ذكر الناس بإقبال النساء الإغريقيات على كتب (أوفيد) وعادة، لا تقبل النساء على أمر أو شيء، إلا وأقبل المجتمع كله عليه، وذلك لأن المرأة ليست نصف المجتمع كما يقول أهل الإحصاء.. بل هي المجتمع كله.. كما يقول أهل علم الاجتماع..

وبالمقابل، ومشيئاً على النهج الذي اختطه (جيوفاني بوكاشيو) في كتابه (الديكاميرون) حين وجهه كله إلى محبوبته (فياميتا).. أو قل إنه علق تأليفه على سبب مشدود إليها.. فقد فعل (سرفانتس) الإسباني (ولادة 1547) أي بعد قرنين من الزمن، حين شد سبب تأليف كتابه الخالد (دون كيشوت) أيضاً.. إلى محبوبته وعشيقته (دوليسينيا) من أجل جلو معاني الفروسية ونبلها، وما وصلت إليه، على أيدي الرعاع، من انحدرات مسفة، وبذلك نرى أن الكتب الخالدة بعضها يشق بعضها الآخر.. مثلما تتشقق الأرحام عن المواليد الجدد، وهذا يقودنا إلى (غوته) في مؤلفه الخالد أيضاً (فاوست) حين عالج ثنائية (الخبر والشر)، وتحالف (الإنسان مع الشيطان).. نشداناً لغايات محلومة أو مرتجاة.. كذلك الثنائيات الكثيرة التي عالجتها الكتب السماوية مثل (الجنة والنار، والثواب والعقاب، والمؤمن والكافر، والأرضي والسماوي، والتوبة والمعصية، والطهارة والدناسة، والله والشيطان، والطيب والشرير، والقاتل والقتيل، والراعي والزراع، والمالك والعبد، والغني والفقير، والمرأة والرجل، والماضي والحاضر، والظاهر والمستبطن، والناس والملائكة، والحسنات والسيئات، والكذب والصدق، والحق والباطل.. إلخ).. أما أيام القصص العشر، فقد توازعت موضوعات شتى، كانت الملكة (المنتخبة) في كل يوم هي من تختار موضوعاتها، وهذا الاختيار له دلالة فنية على درجة كبيرة من الأهمية وهي دلالة علوق بقصة الكاتب (بوكاشيو)، فقد أراد الكاتب من خلال اختيار الموضوع في كل يوم أن يضبط وحدة الكتاب فنياً، كي لا يصير الموضوع جزراً مبعثرة في اليوم الواحد.

في اليوم الأول (وهو يوم مستثنى من الاختيار) كانت موضوعات القصص حرة، يختار كل واحد منهم (الذكور والإناث) قصة قد تشابه القصص الأخرى في موضوعها، وقد تختلف عنها كل الاختلاف.. ويكاد موضوع القصص في هذا اليوم يشمل أحوال الدين، ورجال الدين، وموضوعة الكهنوتية أيضاً، وفيه انتقاد كبير للفضى السائدة بين رجال الدين، والاستغراق في الترف والأبهة، والبعد عن التقشف والزهد، أي وباختصار شديد يريد (بوكاشيو) القول إن ما يقال عن رجال الدين أمر، وإن ما يفعلونه أمر آخر تماماً، وإن ما تقوله الكنيسة عن الزهد والتقشف هو أمر لا يخصها وإنما يخص الآخرين وحدهم.

وفي قصص اليوم الثاني، تحدد الملكة (فيلومينا) موضوعها، ويدور حول المتاعب والمصاعب والأخطار وحالات العسرة التي تواجه الأفراد في بدايات حياتهم وعلاقاتهم، ثم ما يصيرون إليه من بعد تحقيق الرغبات والوصول إلى السعادة التي يحلمون بها.

وقصص اليوم الثالث تدور حول موضوع فحواه الوصول إلى الغايات بالجرأة حيناً، وبالحيلولة حيناً آخر، وأبطال قصص هذا اليوم ينحدرون من طبقات اجتماعية مختلفة، وهم من مستويات ثقافية مختلفة أيضاً.. ولا تخلو قصص هذا اليوم من الأحداث العاطفية، والجرأة في اقتحام المجتمع الأنثوي حتى وإن كان هذا المجتمع موجوداً في مكان ما له مهابته واحترامه مثل (دير الراهبات)، وتكاد هذه القصص تكون قصصاً شعبية يتناقلها العامة في سمرهم، وتهكماتهم، أو محاولاتهم للنيل من المقامات الاجتماعية ومنها مقاما (رجال الدين) و(رجال السياسة).. وفي اليوم الرابع تدور القصص.. حول موضوع (الغرام) وعقائيل العلاقات العاطفية، والنهايات الحزينة التي انتهت إليها، والترسبات التراجيدية في النفوس المكلومة، كأن تتجرع الحبيبية السم في كأس ذهبية فيها قلب حبيبها، أو كأن يقدم قلب عاشق آخر لمعشوقته كي تأكله!

ويجيء اليوم الخامس ليكون موضوعه رداً على موضوع الليلة السابقة، فالموضوع هنا.. يدور حول الغرام، والحب، وحالات العشق التي تنتهي نهايات سعيدة، إنه الضفة الأخرى للحب الذي لفتته الماسي والأحزان فلم تترك ذكريات سوى ندوب فحسب، لكن النهايات السعيدة لا تأتي من دون مكابذات وأتعاب وتشوفات محتشدات بالنتهد والأزبن والزفرات الحزى.

وقصص اليوم السادس.. تتخبر موضوعه الملكة (إليسا)، ويدور حول الذكاء والفضنة والبداهة والتلقائية والفضرة والبساطة التي تسهم في خلاص الأفراد من مشكلاتهم ومآزقهم أو ما أعد إليهم من أفخاخ وأشراك ومكائد، ومن خلال القصص تبدو أهمية سلطة الكلام الذي يقود لا إلى النجاة من المآزق أو المشكلة فحسب، وإنما يقود إلى الأمكنة العالية، والرتب الرفيعة!! وتود قصص هذا اليوم أن تقول إن الذكاء والفضنة والبداهة والتلقائية.. ليس خصيصة بأهل الثقافة، أو أهل السياسة.. وإنما هي موهبة يتمتع بها أفراد ينتمون إلى طبقات وشرائح وفئات اجتماعية مختلفة.. وقد يكون المرء هو من الذين لا حظ لهم في امتلاك العلوم أو الثقافة، أو لا حظ لهم في الجاه والمكانة.

وفي اليوم السابع، وملكه الشاب (ديونيو)، يكون موضوعه: الزوجات اللاتي يغرن بأزواجهن عن طريق الحيلة والخديعة، أو لنقل إن موضوع القصص هو (كيد النساء) تماماً، وهذا ما يحيلنا إلى قصص (ألف ليلة و ليلة) التي تصور فيها (شهرزاد) أحوال (كيد النساء) وتصرفاتهن تجاه الأزواج السذج، والطغاة، والغاصبين، وأصحاب المال والقوة.. أي هؤلاء الأزواج الذين يحولون بين المرأة وبين من تحبه، عن طريق أخذها عنوة، أو اغتصاباً، أو قهراً، أو شراءً.. أي من دون موافقة المرأة ورضاها عن شريك حياتها!

ويكاد هذا الموضوع نفسه يستمر في اليوم الثامن، وموضوعه الأشخاص الذين (يُخدعون) لسذاجتهم، وقلة حيلتهم، وضعف مداركهم، وغباوتهم، وعدم خبرتهم!

ويكون اليوم التاسع يوماً استثنائياً أيضاً، فلا تقصر القصص نفسها على موضوع واحد، وإنما يكون موضوع القصص متعددًا ومختلفًا في آن، لذلك تطل فيه القصص العاطفية الجريئة مرة أخرى، بل تكاد بعض قصصه العاطفية الجريئة تكون أمتع قصص الكتاب طراً.

وفي اليوم الختامي (العاشر) يتحدد موضوع القصص بالفروسية، والشرف، والنبيل، والسمو، ويكون أبطالها من الملوك وأهل المكانة والحسب والنسب، وأصحاب الأفعال النبيلة والحميدة..

في قديم الزمان

• وفاء عزيز أوغلي

• كاتب من كتاب سوريا في القرن الماضي، أنهيت قراءة بضعة كتب من كتبه الكثيرة التي يتحدث فيها عن بلادنا في زمنه وهو من القلائل الذين جاد بهم الدهر، واستأثرت بهم دمشق، صاحب حديث اجتماعي شائق ومحبيب، في فترة زمنية مضت..

تتضمن الكتب مقالات مشوقة حول دمشق، وصفها كما كانت في ذلك الزمان،

شوارعها، أسواقها، مدارسها القليلة، أساليب التربية والتعليم في المدرسة والبيت،

يخبرنا عن عادات وتقاليد كانت سائدة فيها، عن بيوتها المبنية على النظام القديم الجميل الذي يغني بما يحويه من أشجار وأزهار وورود متنوعة عن الخروج إلى أي مكان للترويح عن النفس، ويخبرنا عن أحداث كثيرة جرت فيها.. أحد كتبه سطر مقالاته عام 1949..

تتضمن موضوعاتها اعتراضاً وأسفاً لأن طباع الناس اختلفت عما كانت عليه، ويشعر بالحزن كون الحب نفذ يديه من إصلاحهم، ومضى عن زمانهم إلى غير رجعة..

يتحدث عن المحبة التي يجب أن تعود بين الجيران والأهل والأصدقاء من دون غاية أو هدف، وعن إغاثة الملهوف، والتزاور، وعن غلاء المهور وعدم الاهتمام بصفات الشاب بل بما سيلبي من طلبات الفتاة، وعن عقدة الأجنبي لدى الأغنياء، وعقدة الغني والفقير، واستخدام الألفاظ الأجنبية بين الكلمات العربية كنوع من إظهار التنقف، ويتحدث عن التشبه بالأجانب في عاداتهم السيئة وعدم رؤية صفاتهم الجيدة النبيلة..

قرأت المقالات ذات الأسلوب الساخر الجميل وابتسمت مستغربة، فكل ما ذكره مازال موجوداً، بل وازداد تشبهاً في نفوس وطباع كثير من الناس منذ ذلك الزمان وإلى اليوم، رغم الحرب والتشرد والضيق والخوف والفقير..

الهاتف الثابت غدا البديل عن التزاور وعن صلة الرحم، والهاتف النقال صلة الوصل المجانية بين أفراد الأسر المبعثرة في أرجاء العمورة، ورغم سهولة استخدامها ومجانيتها تجد يا كاتبنا العزيز أن الانشغال يؤخر التواصل وقد يقتصر على كلمة أو اثنتين رفعا للعتب أو إرضاء للضمير المعذب..

أما قضية الجيران فمسألة فيها نظر، فإذا التقى جاران وبدأ أحدهما السلام وتلقى الجواب، فالدنيا في خير، وفي الأغلب الدنيا ليست في خير..

وفي حالات الزواج المهر يصل إلى ملايين عدة لضمان مستقبل الفتاة، وخاتم الألباس من أجل الناس، والحفلة حلم كل فتاة، وإذا قيل لهؤلاء أليس الفقراء أولى بما ستفقون، قالوا.. أهذه المبالغ الضئيلة ستسد رمق الجميع ؟ دعوا دول العالم تتكفل بالأمر..

وعقدة الأجنبي، واستخدام الكلمات الأجنبية، والتشبه بالأجانب وأخذ سيئاتهم دون الحسنات فحدث ولا حرج.. ليتك تعود أيها الشيخ الجليل من نعيمك لتري ماذا حل ببلدنا بعد العام الذي حددت.

الحرب مشتعلة، والعالم كله يزيد لتهبها، ولا ندري إلى متى، والموت يفرغ فاه في وجوه الجميع كل لحظة..

والنفوس تتوارث الصفات السيئة.. تأملت الواقع وتذكرت مضامين الكتب التي أفنيت عمري في قراءتها، فوجدت أن لو قرأنا لكاتب عاش في فترة زمنية سابقة للعام الذي ذكره كاتبنا عشرات بل مئات السنين، وقرأنا لكاتب آخر وآخر وآخر، ومنذ بدء الخليقة لقرأنا الكلام ذاته.

فلا الحرب وازع ولا الموت، فالصفات السيئة للنفوس ليست إرثاً وحسب بل وعدوى..

وفي زماننا هذا ووضعنا الراهن..

الأرض تهافت تحت أقدام بعض البلدان العربية وأهلها، وما زالت ثابتة تحت أقدام آخرين..

والسؤال الذي يضج في مناحي الكون، ترى إلى متى ؟ إن لم نطارد أخلاقنا الهاربة ونستعيدها..!

بشرى البستاني شاعرة الفطرة السليمة

• عيسى فتوح



الأستاذة الدكتورة بشرى البستاني، شاعرة عراقية رقيقة... ولدت عام 1950 في مدينة الموصل، وتلقت دراستها الإعدادية والثانوية في مدارسها، والجامعية في جامعتها (جامعة الموصل). وكان موضوع أطروحتها الجامعية للتخرج "نقد الشعر الحديث: البناء الفني لشعر الحرب في العراق".

عينت بعد تخرجها في

الجامعة أستاذة في "معهد المعلمات" بالموصل، ثم أستاذة للأدب العربي الحديث في كلية الآداب بجامعة الموصل... وقد اهتمت بالدراسات الأدبية عامة والشعرية خاصة، وكذلك بالدراسات الأكاديمية، ونشرت العديد من أبحاثها ومقالاتها النقدية، في المجالات الأكاديمية والثقافية داخل العراق وخارجه.

آثارها الشعرية:

- 1 - ما بعد الحزن - مكتبة النهضة - بيروت 1973.
- 2 - الأغنية والسكين - وزارة الإعلام - بغداد 1976.
- 3 - أنا والأسوار - جامعة الموصل - الموصل عام 1979.
- 4 - زهر الحدائق - وزارة الثقافة والإعلام - بغداد 1984.
- 5 - أقبل كف العراق - وزارة الثقافة والإعلام - بغداد 1989...

شعرها:

لا يختلف اثنان على أن الأستاذة الدكتورة بشرى البستاني شاعرة بالفطرة، وهي تفسح عن شعرها الرهيف عما يخالجه من مشاعر وأحاسيس وهموم ذاتية وإنسانية.

شعرها واضح كل الوضوح، لا لبس فيه ولا غموض، وصورها جميلة ومشرفة وشفافة، وبعيدة كل البعد عن التعقيد والإبهام، يستطيع القارئ أن يفهمها، ويجلو مضمونها دون بذل الكثير من الجهد والعناء، كما في قصيدتها "الأقنعة" التي تقول فيها:

حَمَامٌ جَرِيحٌ يَظَلُّ رَأْسِي

حَمَامٌ ذَبِيحٌ يَطِيرُ بِيَّتِي

يَنْزُ صِرَاحًا، صِرَاحًا...

وَأَنْتِ حَبِيبِي زَرَعْتَ بِصَحْرَاءِ عَمْرِي وَجْهَكَ

صَارَتْ سَمَانِي مَوْطِنًا لِلْبُرُقِ

صَارَ الْخِزَامِي نَحِيلًا،

وَصَارَ السَّرَابُ نَدَىً وَالنَّجُومُ

تَدَانَتْ تَظَلُّ عَدَابًا رَهِيْفًا يَجْرَحُ قَلْبِي،

وَأَنْتِ حَبِيبِي هَجَرْتَ السَّمَاءَ بِيَعْدِكَ حَتَّى

تَنَاءَتْ

فَصَلَّى الْكِبَارُ، وَصَلَّى الصَّغَارُ،

وَعَادَتْ مَوْشَحَةٌ بِالْحَدَادِ

وَمَتْرَبَةٌ بِالْبَعَادِ، فَأَيَّقَظَتْ الْحُلْمَ فِي

وَأَيَّقَظَتْ الشُّوقَ فِي

ثورة آذار في ذكراها السادسة والخمسين

• د. علي دياب

تحل الذكرى السادسة والخمسون لثورة الثامن من آذار التي فجرها حزب البعث العربي الاشتراكي عام ثلاثة وستين وتسعمئة وألف، هذه الثورة التي صمدت في وجه أعاصير عدة، ومؤامرات مختلفة، من الداخل والخارج، فأثبتت أنها عصية على الأعداء، ولم يستطع كل من تريص بها أن ينال من ثباتها ومضيها في طريقها الصحيح، منذ صبيحة الثامن من آذار قبل ست وخمسين، سنة وحتى الآن، وما هي سورية قلب العرب، تنهي عامها الثامن وهي تتصدى لحرب كونية لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، وفاقت هول الحربين العالميتين الأولى والثانية، من حيث شراستها واستمرارها، هذه الثورة التي تعرضت وبعد قيامها بأقل من ثلاث سنوات إلى حرفها عن مسارها الصحيح من خلال العقبة اليمينية، التي ابتليت بها قيادة الحزب، واستطاعت القضاء على هذه العقبة بقيام حركة الثالث والعشرين من شباط لعام ثلاثة وستين وتسعمئة وألف، وبعد ثلاث سنوات أخرى، تعرضت الثورة لانحراف جديد تمثل بعقبة جديدة، وصفت يومها بالمانورة والتسلط، وتم تجاوز هذه العقبة بحركة تصحيحية لقواعد الحزب قادها الرفيق المناضل، القائد المؤسس الرئيس حافظ الأسد، وذلك في صبيحة السادس عشر من تشرين الثاني لعام سبعين وتسعمئة وألف، هذه الحركة التي كانت منعطفاً هاماً في حياة الحزب الداخلية والوطنية والقومية، فكان الانفتاح على الدول العربية ومن خلال شعار التضامن العربي، وتوحيد الجهود العربية، مما أسفر عن قيام قطرنا العربي السوري، والقطر العربي المصري بحرب تشرين التحريرية، فكانت أول حرب يقوم بها العرب في تاريخهم الحديث ضد عدو استيطاني إحلالي، اغتصب الأرض وشرد الشعب، هذه الحرب التي شهد العدو قبل الصديق، أنها لو كتب لها أن تستمر كما تم الاتفاق بين القيادتين السورية والمصرية، لما كنا نعاني اليوم، من الكيان الفاصب، الكيان الصهيوني، إلا أنه وللأسف، كانت كامب ديفيد التي أحبطت ما هدفت إليه تلك الحرب، ومع ذلك كانت الحرب نقطة مضيئة في تاريخنا المعاصر إذ أنهت أسطورة العدو، وأن جيشه لا يقهر؟ وفي الأيام الأولى انهار الكيان وبدأت رئيسة وزرائه غولدا ماير تتوسل لمن يعقد لها اتفاقاً مع العرب، كي لا يقضوا على اليهود كافة؟؟ ومع ذلك فمضت ثورة آذار بتطويق هذا الانحراف، وعملت على تجميد عضوية مصر العربية في جامعة الدول العربية، كما تم نقل مقر الجامعة إلى تونس، وكان ذلك كله بفضل القائد المؤسس الرئيس حافظ الأسد، ولولا جهوده الواضحة، لكادت الأنظمة العربية قد لحقت بالنظام المصري منذ ذلك الوقت، فثورة آذار استطاعت أن تحول القطر العربي السوري من بلد منفل بالأحداث إلى بلد فاعل، إذ أصبح رقماً صعباً في المعادلة الإقليمية والعربية والدولية، فلا يمكن تجاهله في أي ترتيب يحصل في المنطقة، وكان دوره المعروف في إيقاف الحرب الأهلية اللبنانية، التي بدأت في منتصف سبعينات القرن المنصرم، وكذلك تم القضاء على حركة الإخوان المسلمين، التي تم تحريكها من قبل أسياها الغربيين في نهاية السبعينيات بهدف القضاء على الثورة، فكل هذا التامر، لم يزد ثورة آذار إلا قوة ومنعة وتجذراً في مجتمعها العربي السوري، ولأن تكون سورية الدولة القطرية النموذجية، للدولة العربية الواحدة، التي ينشدها البعث العربي الاشتراكي، كما تميزت الثورة في حفاظها على الثوابت الوطنية والقومية، وفي مقدمها القضية الفلسطينية، القضية المركزية للأمة العربية، ولم يستطع الغرب وفي مقدمه الكيان الصهيوني النيل من هذه الثورة، رغم تجنيدهم الكثير من الأنظمة العربية ضدها، وبما فيها وللأسف النظام العراقي الذي تم توريثه في حرب الخليج الأولى، ضد الثورة الإسلامية الإيرانية بقيادة الإمام الخميني، والتي أعلنت ومنذ ساعاتها الأولى، وقوفها إلى جانب القضية الفلسطينية، وتحرير الأراضي المقدسة، وكان موقف القائد المؤسس واضحاً وجريئاً بتنسيقه مع الثورة الإيرانية وبذلك حافظ على المصلحة القومية العليا، وحال دون الدخول في صراع العرب مع هذه الثورة، والتي كان من المقرر أن يصب هذا الصراع في صالح العدو الصهيوني بالدرجة الأولى؛ وتصور الأعداء أن رحيل القائد المؤسس سيسهل عليهم الالتفاف على ثورة آذار وإنهائها، ونسوا أن الخلف السيد الرئيس بشار الأسد، لم يكن أقل شجاعة وصلابة وتمسكاً بالثوابت من السلف، وبدؤوا محاولاتهم بالترغيب والوعيد، ولكنهم أيقنوا أن الثورة ماضية في طريقها، ولذا هجندوا كل المرتزقة والأوغاد وأتوا بهم من كل حذب وصوب، وضمن المؤامرة الكبرى ليس على سورية فحسب وإنما على الأمة العربية قاطبة، وفي إطار ما أسموه «ربيعاً عربياً» وكان الهدف الأول والأخير لهم هو هذا القطر الصامد الذي يعد حجر رحي المقاومة للعدو الصهيوني، ولم تكن بقية الأنظمة تشكل خطراً عليهم إن كانت في تونس أو مصر أو ليبيا أو اليمن وغيرها، فسورية كانت الهدف، لأنها الأخطر على الكيان الصهيوني، الذي كرم عينيه كان ما سمي «بالربيع العربي»، واستطاعت ثورة آذار بقيادتها الفذة والشجاعة والتفاف الشعب العربي السوري، وكل الشرفاء العرب على امتداد ساحة وطننا العربي الكبير حولها، أن تحبط المؤامرة، وأن تحقق الانتصار تلو الآخر، وما هي ماضية في تحقيق الانتصار التام والآخر، عندما يتحقق لها تحرير مدينة إدلب، وما تبقى من أجزاء وطننا الحبيب تحت سيطرة القوات الأجنبية إن كانت تركية أو أميركية أو فرنسية، فالقرار متخذ، طال الوقت أم قصر، فبسط السيادة العربية السورية على الأرض العربية السورية كلها آت لا محالة، فجيشنا العقائدي، الجيش العربي السوري الباسل الذي أبلى بلاء حسناً مع القوات الصديقة والحليفة، وحرره من مناطق، ودحر الإرهابيين ومرغ وجوههم في التراب، فهو ماض إلى آخر الشوط وسيرفر العلم الوطني فوق روابي وطننا الحبيب من أقصى الشمال إلى الجنوب، ومن شرقه إلى غربه، وهو يتهياً أيضاً لتحرير بقية الأراضي المحتلة، وفي رأسها الأرض العربية الفلسطينية المحتلة. وستكون العقبة الكداء في تنفيذ مخططات الأعداء وآخرها صفقة القرن، التي يعمل الكيان الصهيوني على تحقيقها بمساندة الولايات المتحدة الأميركية، ومن خلالها يصلون إلى تصفية القضية الفلسطينية، فانتصار قطرنا الحبيب هو انتصار للقضية الفلسطينية خاصة وللأمة العربية عامة.

وعدت جميلاً كما كنت قبل،
كما أنت في المرة التالية..
وتطفح الموسيقى من عباراتها
وألفاظها المشرفة، التي اختارتها
بذوق رفيع، وطبع سليم، وحس
رهيف، واتقان بديع إذ تقول:
وحين أضح،
وحين تضيق القرارات، أبحث عنك
وأبحث أبحث عنها
وأتعب
يطلع وجهك في راحتِي ويبسم

هذا القرار الأخير

أسائل وجهك عمن يخلص قلبي من وهج شمسك،

من وجع الشوق، شوق البنفسج

وهو يفتق أعصاب روعي،

ومن ليلة يكبر اسمك فيها

فيُنشد كل المغنين

لحن اللقاء...

أحسن رداءك خيمة وعد تضم الخليج،

وشط المحيط

وأبصر كفك تشرع فيشتعل الشرق

خذني إليك: تسرح هذي الظلال ضفائرهما

فوق وجدي ووجدك

خذني... وينطفئ الليل في الجولة الحاسمة...

وهي مفتونة بجمال بلادها، وسحر طبيعتها

التي تأخذ بمجامع القلوب، وتستأثر بالوجدان،

كما في قصيدتها "البصرة" التي تقول فيها:

ملفحة بوهج النار

طاقحة بفرح الفل والنوار

صامدة وحق النخل والوعد

وحق "أبي الخصب" وهيبة الجند

وحق هواك أكرم منه أضعاف

الذي أبدي

وحق هواك يطلع منه في جسدي

رياحيناً وأجنحة

وأسراباً من الدوري والرعد

وأبكي مثلما تتجرح الأشجار...

كما أنها لا تستبدل بالعراق العظيم والعريق

أي بلد آخر، على الرغم من انتشار غبار الصيف

ووحد الشتاء في ربوعه الشاسعة:

أصرخ يا غبار الصيف

يا وحل الشتاء

يا عيون الفجر

لا أعطي العراق بجنة الخلد

وحق الليل

ليلك الشامخ بعوابق المجد

وحق ريباك أعبد في ثراها الله

والوَجع المقدس يستبج العظم مني

نشوة تحتفي عبّر دمي

وتُشعل كل ما في الأرض

من حزن ومن وجد...

• عبد الباقي أحمد خلف

يضم كتاب الدكتور عمار محمد النهار الصادر عن وزارة الثقافة/ الهيئة العامة للكتاب/ 2015، (سبق علماء الحضارة العربية الإسلامية في إبداع منهج البحث العلمي) /386/ صفحة من القطع الوسط . ويتحدث فيه الكاتب عن أهم المؤلفات العلمية والشخصيات التاريخية العلمية في الحضارة الإسلامية ممن كان لهم فضل السبق في الاكتشافات والإبداعات العلمية وقد عرفوا بذلك عند المنصفين من المفكرين الغربيين والعرب.

إلا إنه كان هناك ثلة من المؤلفين الغربيين أخذت بهم نزعة العصبية فأثروا التجاهل والتنكر للفضل العلمي للمبدعين الحقيقيين لتلك الإبداعات فأراد الكاتب أن يجلي حقيقة ذلك مستهدا بالحقائق العلمية الدامغة والمعروفة والاكتشافات التي اعترف بها الغربيون من المنصفين منهم.

ولم يكتف بذلك بل أغنى الموضوع دراسة وبحثا وتحقيقا وكان مما بينه أن علماء المسلمين احترموها من سبقهم ونسبوا الأعمال والإبداعات لأصحابها وتعلموا منها ثم نقدوها وحققوها وأضافوا إليها وهذا سر الإبداع البشري حيث يضيف كل جيل إلى الذي سبقه إضافة جديدة لتكون الحضارة نتاجا إنسانيا مشتركا بامتياز. أما كثير من علماء الغرب أو أشباه العلماء فقد اتخذوا أسلوبا مختلفا تماما في أخذ العلوم عن حضارة الإسلام فمع أنهم كانوا يعلنون عداهم لكل ما يصدر عن العرب والمسلمين، كانوا قد أخذوا الكثير عنهم وفي حالات كثيرة ومشهودة أخذوها ولم ينسبوها لأصحابها.

وقد تبين ذلك من خلال الأسفار والمخطوطات الإسلامية المودعة في المكتبات الغربية وخرائنها والتي اتخذت صفة الانتحال في السبق في العلوم، يؤكد ذلك الدكتور الباحث فؤاد سزكين حين يقرر أن هناك من انتحل كتبيا بأكملها وثم ترجمها إلى لغاتهم زاعمين أنها من إبداعاتهم... كما أراد الكثير منهم أن ينسب كتبيا علمية إسلامية لمشاهير علماء الإغريق.

وتعد هذه الأعمال ضمن الهجمة البربرية على العالم العربي والإسلامي وكل ما يتعلق به من علوم وحضارة وتشويهاها والاستهانة بها وزعزعة الثقة بالحضارة الإسلامية التي أضاعت العالم، كما تفعل إسرائيل اليوم تماما حين تشوه تاريخ القدس وتغير معالمها، وتظهر للناس أنها ليست عربية إسلامية لتجيء منظمة الأمم المتحدة اليوم فتعلن ذلك في بادرة مشرفة، رغم أن آثار كثير من البلدان العربية تسرق وتنتهب تحت مرأى ومسمع منظمات الأمم المتحدة، وقد أشار أخيرا تقرير للأمم المتحدة في حالة نادرة ولأول مرة إلى أن آثار بلد بأكمله هو العراق تحت تهديد الإبادة الكاملة.

وان أعظم علم يعد نتاجا للإبداعات والاكتشافات هو علم منهج البحث العلمي الذي أبدعه المسلمون من خلال التجربة والملاحظة تقول زيفريد هونكه؛ (الواقع أن روجر بيكون أو باكوفون فارولام أو ليوناردو دافنشي أو جاليليو ليسوا هم الذين أسسوا البحث العلمي إنما السباقون في هذا الضمار كانوا من العرب)(1)

وتسمى تلك الإنجازات (هدايا العرب للغرب) وتؤكد أن العرب هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق وملاحظة الجزئيات ولم يبدأ البحث العلمي القائم على الملاحظة والتجربة إلا عند العرب.

بل إن هذه الباحثة تؤكد؛ (إن العرب لم ينقدوا الحضارة الإغريقية من الزوال وظلموها وربتوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب بل إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع)(2) أما غوستاف لوبون فيقول؛ (ويعزى إلى بيكون على العموم أنه أول من أقام التجربة والترصد للذين هما ركنتا المناهج الحديثة...ولكنه يجب أن يعترف اليوم أن ذلك كله من عمل العرب وحدهم)(3)

يتحدث الكاتب في القسم الأول من كتابه عن إسهامات علماء المسلمين في مجال العلوم الطبية فيتحدث بداية عن أبي علي الحسين ابن سينا المولود 370هـ 980م في قرية مشهورة من قرى بخارى وتوفي في همدان 428هـ 1037م اشتهر بمعالجته لسلطان بخارى فوضع السلطان مكتبته تحت تصرفه وعرف بالشيخ الرئيس وأختفى بريق جالينوس حين ظهور ابن سينا، أشهر كتبه القانون في الطب، ومنهجه في البحث العلمي في تجارب الدواء والتحليل النفسي.

ثم يثني بالبيان عن أبي بكر محمد بن زكريا الرازي المعروف عند الغربيين برازيس أصله من مدينة الري ولد عام 250هـ-864م ويتحدث الكاتب عن تجربته العلمية ويشير إلى أهم مؤلفاته: ” سر صناعة الطب“ هذا الكتاب الذي يعتبر أهم سفر في تاريخ الطب فهو يشير إلى انجازات من سبقه بانصاف ثم يضيف لأعمالهم ثم يبين فيه الرازي بعض أسرار أبقراط التي كتبها غيره وضن

بها على الناس ثم يذكر كتبه؛ في محنته الطبيب – سر الأسرار – الشكوك على جالينوس – الحاوي- المنصوري وغيرها وفي كتابه الشكوك على جالينوس ينقده في تسخيره للعلم للزعماء والسلاطين ويؤكد أن العالم الموضوعي يجب أن يكون بعيدا عن ذلك كل البعد، ثم يتحدث عن الطبيب المعروف (أبو القاسم الزهراوي) وكتابه الرائع (التصريف لمن عجز عن التأليف) ويتحدث عن أهم ممارسات الزهراوي الطبية المنهجية .

ويعرِّج على الطبيب الكبير ابن النفيس الذي قيل فيه؛ إنه لم يأت بعد ابن سينا مثله وهو مكتشف الدورة الدموية الصغرى المعروفة بالدورة الدموية الرئوية وخالف جالينوس في كثير من الأمور. ويمر في سرده على الأهوازي علي بن العباس المولود بالأهواز المنوي -384 994 الذي درس الطب في مدرسة جند يسابور المعروفة، يذكر بعض مؤرخي العلوم أن الأهوازي ربما كان أول طبيب مسلم عرفه الغرب اللاتيني واتخذوا كتاباته أساسا لدراسة الطب، وكان أهم ما تحدث عنه، تعزيز مناعة الجسم وتركه يقاوم الأمراض بجانب الوقاية والمعالجة بالأغذية يقول؛ (إن أمكنك أن تعالج العليل بالغذاء فلا تطعه شيئا من الأدوية) حتى إنه تحدث عن سرطان رحم المرأة وأعطى تشخيصا علميا ممتازا له وهو أول من دعا إلى ضرورة التدخل الجراحي وفي وقت مبكر لداواة السرطان وقام بإجراء عمليات جراحية لم يفعلها أحد في زمانه.

ومن أشهر عملياته عملية شق البطن وإخراج الحصى كما اهتم بعملية اللوزتين يقول؛ (ورم اللوزتين إذا عظم وطالت مدته وعسر على صاحبه البلع ولم تنجح فيه الأدوية والغرغرة وما يجري هذا المجرى فينبغي أن يستعمل فيها القطع والسبيل إلى ذلك أن تأمر العليل أن يقعد بين يديك مقابل السبيل إلى ذلك أن تأمر العليل أن خادمك أن يمسك برأسه إلى الخلف، وتأمر خادما آخر أن يمسك لسانه ويكبسه إلى الأسفل بالآلة التي يكبس بها اللسان ثم تأخذ سنارة وتغرزها في إحدى اللوزتين وتخرجها إلى الخارج من غير أن تجذب معها شيئا من الأغشية والأجسام التي هناك ثم تقطعها من أصلها بالآلة التي تصلح لذلك وبعد أن تقطع إحداها تقطع الأخرى أيضا وتفرغ العليل بماء الورد وخل مبرد فإن عرض من ذلك نزيف فينبغي أن تغرغ بماء السماق)(4)

ويتحدث عن الطبيب ابن زهر الأندلسي من علماء اشبيلية -487 1094م كان ابن زهر طبيبا للملك عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين من أشهر كتبه؛ ” كتاب الأغذية – الاقتصاد في اصلاح الأنفس والأجساد – تذكرة في أمر الدواء المسهل – تذكرة في علاج الأمراض – ومصباح الشفاء“

وصفه ابن رشد في كتابه ”الكليات“ بأنه أكبر الأطباء بعد جالينوس

ثم يتحدث عن سبق علماء الحضارة الاسلامية في مجال الكيمياء فيشير إلى العالم الكبير جابر بن حيان المولود بمدينة طوس بخراسان كان أبوه يعمل بمجال الأدوية، عاش جابر ببلاد هارون الرشيد ولقي منه القبول.

وقد استند جابر في أبحاثه على منهج علمي سليم(5) ولقد تبنى فرنسيس بيكون الملاحظة الخارجية التي وجدها في منهج جابر من أشهر كتبه كتاب ” الخواص الكبير“

وقد كان من أهم النظريات العلمية التي تحدث عنها جابر النظرية الذرية المشهورة التي تقول؛ “ إن جميع المواد والعناصر تتكون من دقائق متناهية في الصغر دائمة الحركة لا تقبل التجزئة تسمى ذرات وان ذرات العنصر الواحد متشابهة في الخواص متشابهة في الوزن...”(6) كما يعرف بالعالم الكبير مسلمة الجريطي الذي عاش فيما بين 338هـ - 398هـ 950م- 1008م ويقال إن مجريط هي نفسها مدينة” مدريد“ العاصمة الاسبانية اليوم، رحل في سبيل العلم لبلاد الشرق واشتغل بعلم الكيمياء.

اهتم الجريطي بتجارب الاحتراق والتفاعلات التي تنتج عن هذا الاحتراق والتغيرات التي تتم عن أوزانها. وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن الجريطي حرز الكيمياء من الخرافات والسحر والطمسمات التي كانت معروفة في زمانه إلى علم شريف يعتمد على الحقائق.(7)

ويقال إنه أول من فكّر بإقامة سد على نيل مصر، تحقّق ذلك بعد قرون في السد العالي.كما إنه أول من اكتشف العدسة المحدبة وأجرى عليها التجارب، وأول من استخدم الغرفة المظلمة لرصد الخسوف.

وهو أول من فسّر ظاهرتي الخسوف والكسوف وتشير زيفريد هونكه إلى أن اختراع النظارة الطبية هو سبق علمي لابن الهيثم وقال عنه ول ديورانت؛ (هو أعظم مؤلف في العصور الوسطى بأجمعها).(8)

أما في القسم الثالث؛ فيتحدث فيه عن إبداع علماء المسلمين في علمي الرياضيات والفلك وعد من أشهر هؤلاء محمد بن موسى الخوارزمي المعروف عالميا بجداوله المنسوبة لاسمه؛ (اللوغاريتمات) والذي عاش في بغداد فيما بين عامي 164هـ 235هـ 780م- 850م وذلك في عهد المأمون بن هارون الرشيد وكان ذا مقام عظيم عنده ويعود أصله إلى خوارزم من بلاد العجم وهو أول من استعمل كلمة (الجبر) لهذا العلم كما أنه أول من ألف كتاب الجبر والمقابلة في علم يعد من أعظم ما وضعه العقل البشري.

والجبر يعني عنده أن طرفا من طرفي المعادلة يكمل ويزداد على الآخر، أما المقابلة فمعناها أن الأجناس المتساوية في الطرفين تسقط منها. واسم الجبر في جميع لغات العالم مشتق من كلمة الجبر التي استخدمها في مؤلفاته.

كما يعود الفضل في تناول الأرقام للخوارزمي إذ له الفضل في نقل مؤلفات الأعداد الهندية إلى العرب وعنه انتقلت إلى أوروبا.(9)

ومن علماء الرياضيات الذين أشار إليهم الكاتب؛ الكرخي 410هـ - 1019م، اشتغل الكرخي بأعمال الهندسة حيث ألف كتابا سماه(حول حفر الأبار) كما له كتاب اسمه (الفخري) (والكافي) أفهما في الرياضيات وأهدى كتابه الفخري للوزير فخر الملك.

يقول عنه (هورد ايفز)؛ (إن كتاب الفخري في الحساب أحسن كتاب، كتب في علم الجبر في العصور الوسطى لما فيه من الابتكارات الجديدة والمسائل التي لا يزال لها دور في الرياضيات الحديثة)(10)

أما أبو الحسن علي القلصادي فقد ولد بالأندلس سنة 825هـ وتوفي في 891هـ فهو من أخر علماء الأندلس العظام وكان أكثر نبوغه في الرياضيات التي قدم فيها خدمة عظيمة للحضارة الإسلامية والإنسانية.

وقد اشتهر القلصادي بالرموز المختزلة في كتابه (كشف الأسرار عن علم الفجار) استخدم فيه الرموز والإشارات الجبرية بدل الكلمات فيما يسمى اليوم بالاختزال.

أما العالم عبد الرحمن المعروف بالصوفي فقد اشتهر بعلم الفلك ت 376هـ فقد بنى مرصدا خاصا لعصد الدولة البويهية كان يراقب من خلالها النجوم(11)

أما في مجال الفلك؛ فقد أثرت مناهج تقاويم المسلمين في علماء أوربا تأثيرا كبيرا ومن أشهر علماء المسلمين في هذ المجال ”البتاني“ 317هـ - 929م صاحب كتاب /الزيج/ والزيج تعني ”التقويم أو الجدول الفلكي“ هذا الكتاب ترجم إلى اللغة الانكليزية والفرنسية واشتهر في الغرب كما لو لم يشتهر في الشرق الإسلامي إلا قليلا. وقد ترجم كتاب الزيج ترجمتين؛ ترجمة روبرتو كيتيننيس لكنها مفقودة وترجمة أفلاطون التيفولي كما أن هناك ترجمة اسبانية مباشرة عن الغرب.

الترجمة الاسبانية تم بناء على أمر ألفونسو العاشر الحكيم وفي هذا المجال تدين أوربا للبتاني باعترا فخوان فيرنيت – بالصياغة النهائية الرياضية والدورة الكبيسة التي ما زالت تنظم حتى وقتنا الراهن التقويم الإسلامي. كما اعترف الفلكي الأوربي (دون ثورن) الذي رصد القمر في القرن 12هـ - 18م انه اعتمد في دراساته الفلكية على كتاب الزيج لأبي عبد الله محمد بن سنان البتاني.(12)

أما الفلكي المعروف (كوبر نيكوس) فحينما جاء، استشهد في كتابه حول الفضاء بأراء البتاني ونظرياته كما أقرت زيفريد هونكه أيضا حين قالت؛ (إن أهم الزيج الذي دخل معظمها بلاد الغرب وعمل بها حتى في أيام كوبرنيكوس ذاته دون قيد أو شرط كانت زيجة الخوارزمي والمأمون والبتاني وابن يونس والزرقالي)(13)

وفي القسم الرابع عن سبق علماء المسلمين في إبداع منهج البحث العلمي في مجال(علم الحيوان) وهو علم تفرد به المسلمون منذ الأزل ومن أشهر العلماء الجاحظ 150هـ - 250هـ الذي اشتهر بعلم الحيوان.

وقد اشتهر الجاحظ بإجرائه التجارب على كثير من الحيوانات والحشرات والطيور وتدوينه للنتائج في كتبه وتحدث عن هجرة الطيور وحدد مواسمها كما تحدث عن هجرة الأسماك.

كما تحدث عن التهجين وسلالات الخيل وغيرها من الحيوانات وربما كان صاحب السبق في البحث في علم

شمس الحضارة تسطع على الغرب

التهجين والنتاج المركب.(14)

كما تحدث الكاتب عن العالم المعروف محمد بن عيسى الدميري 808هـ- 1405م عالم الحيوان الذي لا يقل مكانة عن الجاحظ ويقال إنه المؤسس لعلم التكافل بين الحيوانات من خلال الدراسات والتجارب التي أوردها في كتابه الثمين (حياة الحيوان الكبرى) انتشر هذا الكتاب في أوربا منذ زمن طويل واشتهر في الأوساط العلمية تبين ذلك من خلال اقتباس علماء الغرب منه.

أما في القسم الأخير من الكتاب فقد تحدث عن إسهامات علماء المسلمين في علم الجغرافية .

وقد أوضح البيان في هذا القسم عن أشهر علماء المسلمين في مجال الجغرافية والذي يعد من أعظم علماء العالم إطلاقا في هذا المجال وهو محمد بن عبد الله الشريف الإدريسي 560هـ - 1166م من مواليد سبته تلقى علومه بقرطبة وقد تعددت اختصاصاته في الجغرافية والفلك وعلم النبات والتاريخ كما اشتهر بالطب والصيدلة

اشتهر الإدريسي بأنه أول من رسم خارطة للعالم حيث دعاه ملك صقلية روجر الثاني الذي كان معجبا بالحضارة الإسلامية حتى قيل إنه كان يلبس الزي الإسلامي – ودعم هذا الملك الإدريسي بالمال والإمكانات اللازمة وأحضر له الرسامين من إيطاليا ليرسموا له كرة أرضية من الفضة الخاصة ليرسم عليها الإدريسي أقاليم الأرض السبعة المعروفة. فيكون أول من قال بكروية الأرض دون خلاف .

ومن أشهر كتبه ؛ ”زهوة المشتاق في اختراق الأفاق“ الذي لا يستغني عنه أي باحث غربي أو شرقي، يقول عنه ول ديورانت مؤكدا على عظم أهمية خرائط الإدريسي؛ (وكانت هذه الخرائط أعظم ما أنتجه علم رسم الخرائط في العصور الوسطى ولم ترسم قبلها خرائط أتم منها أو أدق أو أوسع أو أعظم تفصيلا)(15) العالم الأخر في هذا المجال هو أحمد ابن ماجد 836- 923هـ تميز ابن ماجد بمعرفته بعالم البحار وتقويم البلدان والفلك والجغرافية والحساب وأتقن اللغة السنسكريتية ولغة أهل جاوة والتاميل وهو أول من وضع وصفا واضحا للسحاب الجنوبية الكبرى والصغرى فقد نسب ذلك لابن ماجلان 926هـ

طوّر ابن ماجد البوصلة أو بيت الإبرة وقد أبدع طريقة لتحديد القبلة ووضع الخرائط لجميع الطرق المؤدية للهند. وقد تميز فضل المسلمين في تطوير الاعتماد على البوصلة التي يقال أنها اختراع صيني في الأصل.

تمثل هذا التطور في؛

أنهم كانوا أول من استخدم البوصلة في الملاحة.

أنهم نقلوا الاختراع لأوربا فلم يعرف الأوروبيون البوصلة إلا عن طريق المسلمين من خلال اتصاتهم بالأندلس وصقلية.

خاتمة ؛

إذا كان كثير من أعلام الغرب يتجاهل إبداعات المسلمين واختراعاتهم فإن هناك من أنصف واعترف بجهودهم وهم كثيرون معروفون، ولعل من أشهرهم صاحب أعظم موسوعة حضارية ول ديورانت – والمستشرقة المعروفة زيفريد هونكه في كتابها المعروف؛ شمس الله تسطع على الغرب.وتبقى الاكتشافات والاختراعات نتاجا علميا إنسانيا يجب أن لا يحتكرها أحد.

المراجع

(1) شمس العرب تسطع على الغرب ص149- 150

(2) المصدر نفسه صفحة/ 401/

(3) سبق علماء الحضارة ص/435/ حضارة العرب غوستاف ترجمة عادل زعيتر مصر الهيئة العامة للكتاب 2000م

(4) المصدر نفسه/ صفحة/ 96- 97/

(5) المصدر نفسه/ صفحة/ 121/

(6) المصدر نفسه/ صفحة/ 121/

(7) المصدر نفسه/ صفحة/ 144/

(8) المصدر نفسه/ صفحة/ 182/

(9) المصدر نفسه/ صفحة/ 197/

(10) المصدر نفسه/ صفحة/ 201/

(11) المصدر نفسه/ صفحة/ 206/

(12) المصدر نفسه/ صفحة/ 212/

(13) شمس العرب/ صفحة/ 145/

(14) سبق علماء الحضارة/ صفحة/ 232/

(15) سبق ص272قصة الحضارة- ج 13- ص 358

يا صادياً ورد الفرات بلهفة

• غازي عبدالعزيز عبدالرحمن



شَتَان بَيْن مُودَعٍ وَمَلَأَقٍ
أَوْ لَاهَتْ خَلْفَ السَّرَابِ وَسَاقٍ
فَالدَمْعَةُ الْجَدَلِي سَتَهْمِي عَذِيبَةً
لَيْسَتْ كَدَمَعِ الْحَزْنِ فِي الْأَحْدَاقِ
وَنَحِيلُ دَجَلَةَ لَنْ يَسْبَحَ وَاقِظًا
إِلَّا بِحُضْنِ مَنْ تُرَابِ عِرَاقٍ
وَالْيَاسَمِينُ فُلْنِ يَصِلِي لِلهَوَى
إِلَّا بِجَلْقِ قَبِيلَةِ الْعَشَاقِ
أَوْ أَمِنَ فِي عُشِهِ مِثْلَ الَّذِي
يَطْوِي السَّنِينَ بِغَرِيبَةٍ وَفِرَاقٍ؟
أَوْ مَنْ يَفُوقُ بِجُودِهِ غَيْثًا هَمِي
مِثْلَ الَّذِي يَخْشَى مِنَ الْأَمَلِاقِ؟
يَا شَادِنَا بِقَدَالِهِ مُتَعَتِّرًا
عَدْنِي بِحُسْنِكَ فَتَنَةً 1 الْأَحْدَاقِ
كَيْفَ اسْتَلَّتْ الْحُسْنَ مِنْ نَعْرِ الضُّحَى
وَأَذْبَتِ شَهْدَ الْأَدَى فِي التَّرْيَاقِ؟
مِنْ رُمُشِكَ الْوَسْتَانِ كَيْفَ سَأَحْتَمِي
وَكَلِيمَ 2 طَرْفِكَ مَالَهُ مِنْ رَاقٍ 3
يَا صَادِيًا وَرَدَ الْفِرَاتِ بِلَهْفَةٍ
مَتَنَفِّسًا بِمَعِينِهِ الدَّفَاقِ
أَفْقِيَتْ عَطْرَكَ فِي مَسَارِ صَبِيهِ
مُتَضَوِّعًا فِي مَانِهِ الرَّفْرَاقِ
أَمِطِ اللَّثَامَ لِأَفْتَقِي أَنْرَ اللَّمَى
وَأَضْمِدْ الْأَشْوَاقَ بِالْأَشْوَاقِ
يَا شَهْقَةَ النِّعْنَعِ يَا طَهْرَ النُّدَى
يَا بَيْبَسَانَ الْعَشَقِ فِي أَعْمَاقِي
أَنَا مُدَقِّرَاتُكَ فِي صَبَايَ قَصِيدَةٍ
عَمَدَتِ 4 فَوْضَى الْأَدَى فِي إِغْرَاقِي
مَا إِنْ سَكَبْتُكَ فِي الْمَسَاءِ قَوَاقِيَا
تَمَلَّتْ كُؤُوسِي وَاسْتَبَدَّ خَنَاقِي
فَعَدَوْتُ طِفْلًا فِي مَهَادِكَ أُرْتَجِي
عَطْفَ الْحَبِيبِ وَنَظْرَةَ الْإِشْقَاقِ
تَتَقَادَفُ الْأَيَّامُ سَفْرَ تَغْرِيبي
أَحْسُو الْمَرَارَ بِزَانِفِ الْأَطْبَاقِ
وَسَفَحَتْ دَمْعِي بَيْنَ أَشْرَعَةِ الدُّجَى
فَارْفَقْ بِرَبِّكَ إِنْ تُرِدْ إِرْهَاقِي
صَدَا الصَّهِيلِ وَلَمْ تُغْدِنِي عَبْرَتِي
سَابُوحٌ فِي سَرِيٍّ إِلَى الْأَوْرَاقِ
وَأَمْرُقُ الْأَعْرَافِ دُونَ مَلَامَةٍ
تَبَا لِسَيْفٍ فِي جِرَابِ بَاقِ
أَتَيْكَ يَا مَاضٍ سِيَاخِذْنَا مَعَا
لَعْدَ هَنِيٍّ وَاسِعِ الْأَفَاقِ
أَتَيْكَ فِي حَبَقِي وَجَمْرٍ تَوَهَّجِي
وَقَصَائِدِي الْحَبْلَى مِنَ الْأَشْوَاقِ
أَتَيْكَ فِي نَزَقِ أَسَابِقِ خُطُوتِي
حَادٍ بَلِيلِكَ كِي أَنْيخَ نِيَّاقِي
فَإِذَا خَسِرْتُ فَتَلَكِ خَاتِمَةَ الْهَوَى
وَإِذَا رِبِحْتُ فَأَنْتَ كَاسٌ سِبَاقِي

- 1 - منصوب على رفع الخافض
- 2 - كلم: جريح
- 3 - راق: معالج بالرقية
- 4 - عمدت: كلفت أو فوضت

نصوص من وحي الأزمة السورية

• ليندا إبراهيم



«شَهِيدُ الْيَاسَمِينِ»
صَادَرْتَنِي عَيْنَاهُ، لَوْلَوَاتِنِ
مَنْ الْيَاسَمِينِ..
صَادَرْتَنِي رَوَاهُ..
حَامِلًا وَطَنَا فَوْقَ كَاهِلِهِ
الغَضُّ، يَمْضِي بِإِشْرَاقَةٍ مِنْ يَقِينٍ —
وَهُوَ مِنْهُمْ فِي تَفَاصِيلِ رِحْلَتِهِ الْقَادِمَةِ...
«زَمَنُ الْمَوْتِ لَا يَنْتَهِي يَا أَبِي...»
وَنَحْنُ الَّذِينَ نَذَرْنَا لِهَذَا الْبِلَادِ...
وَهِيَ الْأَنْ خَانِضَةٌ تَحْضُنُ الْقَبِيلَةَ...
سَامِضِي إِلَيْهَا، إِلَى قَدْرِي، فَوْقَ خَيْطِ الْحَبِينِ
أَفْكَكَ شَرَعَتَهَا الْقَاتِلَةَ...»
يَقُولُ... وَفِي صَوْتِهِ أَوْدَعَ اللَّهُ كُلَّ يَمَامٍ دَمَشَقِ..
أَحْضِنِي أُمِّي...
سَأَنْقِلُ شَوْقَ الشَّهِيدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضِي بِسَرِيِّ الدَّفِينِ
...
قَبْلِي وَلَا تَدْمَعِي... فَمَنْ خَافَقِي كُلَّ أَفْنَدَةٍ
الْعَاشِقِينَ..
غَمَامٌ مِنَ الدَّمْعِ يَجْجِبُنِي عَنْ يَمَامِكَ يَا شَامُ،
أَشْعُرُ أَنِّي لَسْتُ وَحِيدًا...
وَأَنْ دَمَشَقَ تَعَانَقْتَنِي مِنْذُنَهُ... مِنْذُنَهُ...
وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَخْفِقُ الْأَنْ فَوْقَ الْقَمَمِ؛
غَيْرَ هَذَا الْعِلْمِ... غَيْرَ هَذَا الْعِلْمِ..

.....
الشَّهِيدُ ثَانِرُ شَمْسِ الدِّينِ الْعِجْلَانِي، إِعْلَامِي
، مَرَاثِلُ إِذَاعَةِ شَامِ إِفَامِ الْفَضَائِيَّةِ السُّورِيَّةِ
.. اسْتَشْهَدَ عَامَ 2015 فِي جَوْبِ حِي مِنْ أَحْيَاءِ
دَمَشَقٍ وَهُوَ يَقُومُ بِرِسَالَتِهِ الْإِعْلَامِيَّةِ الْحَرْبِيَّةِ..
شَبَّعَ تَشْبِيحًا شَعْبِيًّا وَرَسْمِيًّا مَهِيْبًا..
وَصِيَّةَ شَهِيدٍ..
«وَصِيَّةَ الشَّهِيدِ عَلِيِّ شَاهِينَ شَاهِينَ»
يَا رِفَاقِي...
أَرْفَ الْمَوْتَ فَحَلُّوْا لِي وَنَاقِي..
وَأَنْهَمُوا رُوحِي وَقَمِصَانِ جُرُوحِي..
وَخَذُونِي.. بَيْتِ أُمِّي.. حُضْنِ أُمِّي..
وَادْفِنُونِي فِي وَجْهِهَا الطَّاهِرِ رُوحِي..
ادْفِنُونِي..

تحية إلى محمود حامد

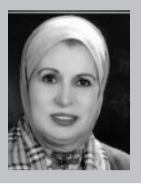


• صبحي سعيد قضيما تي

محمود حامد يا حدائقِ صحتي
والورد نبضك للسرور وبهجتي
طوبى لروحي إذ تراك بعينيها
لغة الجمال ومن شذاك مسرتي
تغدو حروفي في مداك وريفة
بحراً بجموك تشرب قريحتي
أشكو ابتعادك والزمان عواصفا
هو جاء تشقي في المجهل عثرتي
والأرض في روض الشام حرائق
أضحى التناهي والبعاد شكيته
عن ما أحب من الرفاق، ومنيتي
أبقى بظل الأوفياء وصحتي
أرتاح في أفيانهم بمودتي..
جف الوداد، وفي الجفاف فجيعتي.
وغدا الفؤاد، وفي المجامر دمعته
وتراكمت كتل العضال وأدمت..
أمراض آفاق الفؤاد، وفطنتي
وبراعتي، وبصيرتي ومحبتني
وخبا ضياء الأوفياء وأظلمت
أعرافهم، والظلم يغزو لخيمني

وأنا مسيح العصر أمخر ماشيا
والشوك يمخر في الوهاد عزيمتي
أشدو بأصوات الطيور وأرتدي
أعذار صعب في التفاق، مصيبتني
بخل الزمان على طموح مقاصدي
إلا بدانية الورد، حبيبتي
وهي التي صعقت مناي بخنجر
جمر، تغلف كالجحيم بساحتي
أغفو فيلغني السهاد برعدة
يغدو السعير تأججا ثورتني
وتزورني طيفا فأغدو مالكا
قمم السعادة، والحبور حديقتي
غدرت ويحلو في الغرام جحودها
ووصالها، أو ما تراه مليكتي
لو لا عبير الشام في أنفاسها
قتل الهجير مع الزمان بصيرتي
هي نعمة جدلي وبحر ملهم
وهي الفضاء، ونجمه، في وحدتي
قمر ويشدو في جنان مسرتني
والبلسم الشاي يطارد كربتي
لم أنتظر منها المكائد إذ بدت
حمقاء تنكر في الغرام صبابتي

زيتونة عشق



• نازك دلي حسن

نبضي من نبض فلسطيني
وهواها دقق شراييني
والقدس هوية أجدادي
وبها الأمجاد تناديني
وطني والآن بلا وطن
ضاعت في التيه موازيني
وربوع فلسطين ستحيا
جرحا في قلب المحزون
مهد الأحرار ولن تنسى
مادام هواها يحييني
وستبقى قبلة أجيال
ومنارة عز تهديني
وطني وسماؤك لي حزن
وجناحك حصن يحميني
سجل تاريخك في عمقي
ودع الآمال تقويني
فأنا هيمن بلا أمل
والشوق لأرضك يغنيني
ياخذني الوجد أعانقها
ولغزة عزا تهديني
بشواطئ يافا يزرعني
من نبع القدس ويسقيني
زيتونة عشق يا وطني
خضراء بأرض التكوين

كانا

• مفلح سليمان

زاد الندى بطراوة الورد
والضجر بين الدفاء والبرد
والضوء يطرح في سحر عبا ته
يلقي الوسامة في العينين والخذ
كانا كما النور ممتداً ومنسرحاً
يضفي الجمال على مياسة القصد
لا قرب وجهه من قلبي يقيدته
ولا السلافة تعطي السحر من بعدي
خل كما السيف ممشوقاً وقد سقطت
جحافل النور إذ يستل من غمد
حين التقينا تدانى الحب في وله
كما تدانى شهاب البرق بالبرعد
يا للباشاشة ما أحلى توقدها
كم زادت القلب من وجد على وجد
كانا على الحب في وجد ليحفظه
في ساحة القلب أو في راحة اليد
حتى يكون مع الأيام مشتعلأ
كان نور يبسم في سيالة الورد
لا قرب وجهه من قلبي يعتده
أو يشعل النور في أحلامه بعدي

الأمان المؤقت

• بسام الحافظ



انباهم مكبر الصوت، أن لجنة عالية ستحضر؛ فعلى شاغلي السكن القيام بما يلي:
- ترتيب الفرش وشطف المواعين. بخ الغرفة بملفف الجوا(أه يا بنفسج)، خوش غالبية البطانيات وأسفنجات النوم مولفة (بالرطوبة)، وعلى النسوان

كافة تهوية الغرف؛ لتدخل الشمس وتطرد رائحة مقالي(القرنبيط والباطما). يلتفت جهة مرافقه، ذكرني نلوز لهم (ملطف جو) الجماعة أجنب. الله يخيلكم استرونا..الخير قادم يا عالم. من دون تدافع. هم مثلناخفقهم الله. لن نكر؛ على فطنة «مابدنا تعليقات سخيقة» «ستمعوا وصفقوا ويس..والعشاء (كبة نينة،جيكه، مع البيض والحباشات) ودمتم. شكراً.. يتدافع الجمع في ساحة المدرسة. وانتظر المشرف ليصمتوا قال: هناك(واحد) رقيق من بينكم احتضن جراء كلبة ولدت في هذا المكان، وراح الأفتندي يطعمها من مخصصاته، وتبين أن الكلبة فرنسية؛ والكلب الجعاري؛ الديوث الذي اعتدى عليها وفعل فعلته من كندا. فقامت الدنيا ياسيد(أنتيكا) ربما تقع الحرب العالمية الثالثة، ونروح نحن دعوسة، ماذا نقول للدولة التي لمنكم وستركم. هات وأجيني أين أنت ولك..أقعد. حصلنا على مساعدات من بعض الدول ومن أهل الخير لنطعمك(السم الهاري) وأنت تطعم الجراء.اللجنة حضرت لنقل ماخلفت والحساب بيننا. رفض قدوري تسليمها؛ فحملها وهرب. وهو ينادي: لتكن الحرب.. تتباكي معهم يأخو الحفيانة، ولم تبك على حالتنا؟ وغاب بعيداً..هرهرة الجراء تملأ فضاء المكان، وقيل، تاهبت دولة الكلبة الفرنسية، ورفعت البطاقة البرتقالية وراحت تهزها من يديها...

الديكة والأرض مائلة

قبل أن يتوسط الباحث عن وظيفة مكتب المدير العام، عاجله بصرخة أفقدته توازنه فسقط المعروض من يده؛ وانحنى ليلتقطه، لكنه فشل. يتركه ويغادر مكسور خاطر.

داخل خربة متفرقة عن المدينة. أخذ المنهزم دور الراض والمحج: زمن الفتلة ولى، ثم من أنت لتطردني من مكتبك؟ أنت الذي ينقلع. هل نسيت أنني أحد أعضاء الطبقة الكادحة، ولك يا (أفتندي)؛ كيف فاتك وأنا الذي يدبك ويبيد مسحة الأول تحت منصة الخطباء، وعريف الجفل يشيد بي" هاهو ملح المناسبات الوطنية والقومية "نعم.هو(خلف الحفيان) خبطة واحدة من خبطاته ترتعد قلوب الدول الرجعية، وتقول لي(اطلع برا) ياواطي..خسنت يا مسح الأحدثية والجوخ؛ ولكنني أبيت أن أسفل ذلك، ولطالما أعلنت الحرب علي..يارب، أرسل له جرثومة لا ترى بالمجهر؛ ودعها تشطف "حباشته" ومن بعدها يكون الحمام حسرة عليه.. يارب تخرج له دمامل وبواسير..يارب تسكن رأسه ثعلبية تاكل شعره..يارب لقد سمعت وشاهدت ماذا فعل مع عبدك المسكين خلف..خذ حقي من هذا الذي طفى وتجبر..يا عاطل، قدمت الشكوى إلى الله؛ خلص حالك يابشت..جاءك الموت ياتارك الصلاة ...

غيرة كاملة اللدم

دعس(جنتق) فريين، فتوقف الحصان ودلف مكان عرض صور الفيلم القادم، يبصر الرجل القابع داخل كوة قطع (البيليت) وطلب من خلال الفتحة الزجاجية -، (بيليت. أبو إسماعيل) لم يكن(جنتق) قد زار صالة العرض؛ وإنما أشير له عنها، وهي تعرض أفلاماً سينمائية تظهر لقطات فيها ما يبهج النفس. هم قالوا له ذلك. ووقف رقم الكرسي قعد. صفق وصر؛ كما يفعل" شلة الصالة ".يبدأ عرض الفيلم؛ ويظهر البطل يتلصص على شغالة البيت وهي تتفحص تفاصيل جسمها، ثم حملت القهوة لتقدمها له. أدركت أنه كان يراقبها..يقف(جنتق)على طولها ويصرخ: سؤد الله وجهك ياندل "هذه من عمر بناتك يابشت" وتف جهة الفيلم؛ إلا أن بصاقه كلل رأس القاعد قدامه،فحدثه، ولك (جنتق) هذا فيلم،يعني قصة. يرحم أبوك اسكت.وعندما أنحنت لتقديم القهوة مد عنقه ليقبلها.ابتعدت..فصرخ(جنتق) عالياً - "أنا أخو أختي، وزرع شاشة العرض بطلقت من مسدسه التساوي..."

ذكري

بكي باص النقل «الهبوب هوب» وراح يرثي حاله، أذكر أيامي نُن كنت معزوزاً؛ أوف ياولم أوف...كانت الحافلة (البولان) قد توقفت قرب مقبرة للسيارات المتاكلة ومنتهية الصلاحية. تنبعت منها أغنية (صابر وراضي) وكان ركابها؛ ينظرون إليه ويضحكون..تحسر بحرقه؛ أيام..كنتم تاكلون البيض المسلوقة والمقالي، تشربون الماء بطاسة "البافون" الرطوبة بزرد..تفو على ناكر الجميل..كانت(الكروة) فرتكات معدودة؛ وفوق ذلك نسعمكم (أم كلثوم) ولك آخ، خبز الشير مأكول مذموم. بس الحق على المعلم (وايس مركديج) وعدني ابن المهبولة أن «يصلحني، ولو تمشاية حال ولم يخمني الى الساعة. تعتمل في داخله عاصفة هوجاء، فلم يحتمل، ورشق،بولان»، لا تضرح ياملعون الوالدين..سأقول لك؛ أناأبو عبود سحاب السكاكين،(وأدوبلك) مع صفرة..وظل كومة حديد لم يقبله التجار...

لروح ضجيج ..أليس كذلك ؟

تقبض أصابع يديها الطرية السوار الجلدي المتدلي من عمود داخل حافلة النقل الداخلي..تجاورها قبضة يد سمرء..تتزاخم داخل الحافلة أمة من الخلق..أنتى على محياها ابتسامه هادئة ثابتة..تحس أن صاحب القبضة السمرء، يريد قطع السوار..إذا أن شرايين يده قد برزت وامتلأت بالدماء..وفي داخلها قالت :ليت سوارك يتزلق ويسكن قرب يدي؛ شريطة أن يخنس..ورأته يتململ ثم يسعل بتؤدة..وقال هو الآخر: الطقس شديد الحرارة ويدك الغضة ساكنة..ليتهم يتدافعون فتقلت يدك من السوار وتلاص يدي..وحين التفتت خلفها تظايرت ذوائب من شعرها ومرت سريعاً من أمام وجهه. فتركت نسانم عطرها الفاخر داخل خياشيمه..وردت؛ سيحاول أن يتحجج ويسألني - عفواً. أين صديدي (أدم)..على اليمين أم على اليسار..؟ أعتقد أنها سوف تسألني - عفواً. هل هذا الخط يوصلني مبنى جديدة (حواء) على اليمين أم على اليسار..؟هي تقف على يمينه وهو يقف على يسارها..تضيق المسافة بينهما..يحس بقشعريرة سرت من جهة وسطه حين ضغط السائق على مكبح الحافلة للوقوف؛ فقدت توازنها ولسته بطرفها واعتذرت..لم يرد عليها، وتمتم؛ هي التي دفعت بنفسها، وإلا كان قد تحرك الركاب..وأجابه: لا. أنت الذي حاول التحرش.. قلها بالعربي الفصيح وخلصني..يرد عليها وهو يقبض على السوار بقوة؛ زلحني يدك وقربيه من يدي حتى أصدق أو أكذب قلبي..وهمس لها جهره..عفواً. أين، شركة الدراما طيف، على اليمين أم على اليسار..؟ وضحكت..أنا أعمل هناك تعال معي..

•• أرمنوهي

فصل من سورة الجحيم !

إلى الصديقين أحمد الحسين وجورج آرويان

• محمد باقي محمد



ثم ماذا بعد ؟! أظنّ الـ " ماذا " المألّفة - تلك - سؤالاً شديد الإلحاف في مروية أرمنوهي وأرشاك، يتبدى في غيرهيئة أو شكل أو تجسد، أو فاساً معلقة فوق عنق قيد الجز، بيد أن الأجوية - على عاداتها - ستمازي وتراوغ أو تروح وتعرّ، فيما الذواكر الغضة لشابين - شقيق وشقيقة - ستسجل في "دفترادها" الرعب والدهشة والاستنكار والعجز عن الإدراك أو الاستيعاب، إذ ما جدوى الالتفاف على كائنات - كان الإله قد عجنها ذات يوم من صلصاله، ثم مزجها بكيمايا من البساطة والوداعة والنزوع إلى الأمان والسلام - تحت أي مسمى أو تسويغ؟! سيستاءل أرشاك المسكون بالدهشة والهلع، ثم إن جبينه سيتعّضن، وسيغرق في بحران حيرته، فهل كانت الأرض تدك وترج أو تتهاوى من عليائها، لتساقط في شقوق النهار الطويلة آنثد، أم إنها راحت تموج وتهتز أو تتقلقل إذ أنشأ النور ينقلها من قرن إلى آخر ذات تعب؟! إلى ذلك الحين - بل وإلى أمد غير منظور ربما - سيبقي الدم الأرميني المبدّد يشخب في المارق والساحات والأزقة والسكك.. سخوفاً وسخياً على نحو تراجيدي، حتى إن صورته - إذ يتختر - ستند عن التخيل؛ ولكن أما كنتم من نسل طوغروما، الذي ينتهي نسبه إلى نوح عند الجيل الرابع؟! سيتساءل أرشاك - ثانية - بمرارة ما بعدها مرارة، وهو يرى إلى فصول في الجحيم أنشأت تتالتى.. على هذا أما كان حريا بالرب أن يحميكم من افتئات طال حياتكم ذاتها، فلماذا أيها الإله الرحيم؟! أي ذنب كنتم قد اقترهتموه في غفلة منكم، فأبدي بجزيرته جمهور غفير، ولا خلاص أو مناص؟! أتكون القيامة قد أزفت - مثلاً - بلا مقدمات تحذر ولا تغير؟! هاتي يدك.. كان أرشاك يهامس شقيقته حين تميد بهما الأرض، أو توغل في الانحدار، أو عندما يقطعان مسيلاً، أو ينهدان رايبية مضرسة، و... حذار! كانت الصرخة المحذرة تشفق أن تلحظ الفتاة شعباً زاغ عن أصله من أجمة - أو غصنا تدلى في شغب - ليمترض جبين أرشاك المرهق أو الكتفين، أو ترى إلى حيوان صغير ليس لها به عهد ذات فجأة، حيوان صغير مجهول الهوية يبرزها خوفاً ربما، فيما أخذ الأحمر يطغى على أختيلتها قائياً، أحمز ما طفق يزيد حتى إن الركب غاصت فيه، ولم يك التدبير أو التمييز في مضائق الموت المباح - إذاك - متأخراً؛ من أكمة إلى أخرى - أو واد - كانت الأجمات ويطون الأودية أو الصخور النباتة أو الجردود والشباب أو الغيران الفوورة تخفيهما عن العيون المنقبّة في تدقيق، جعتا همتت أرمنوهي بصوت واه، كان السغب قد نال منها غب أسابيع طويلة، تصرمت في التواري عن حدقة بندقية أخذت تترصدهما في كل زاوب ومفرق أو ركن، ولا طعام سوى نبت الأرض أو خشاشها على ندره، عداك عن خبرة مُفتقدة في التمييز بين السام منها عن غيره، ما قد يقوم بالأود، فجال أرشاك ببصره الزائف فيما حوله في عجز، عجز شرع يداخله غير مرة في الأونة الأخيرة، ذلك أنه إما تلفت طالعته أرض مملّقة - بحسبه - وشذرة، أو إنها بدت له على ذلك النحو، ربما لأنه لم يكن يعرف الكيفية التي يستمر بها ما تستبطنه أو تظهره من مأك، على نحو يحفظ لهما حياتهما، لهذا تلامحت له كوسط مُحايِد ولمزم ليس إلا، هذا إن لم تك أقرب إلى العداء؛ ثم إن أكثر ما أمضه راح يتبدى في عجز عار - حتى - عن تأمين الدفء لشقيقته، بعد أن أجهزت الصخور النانتة أو الأغصان على ما تبقى من ثيابهما الرثة، حتى إنها بدت عارية إلا قليلاً، ولكن كم أسبوع تصرم عليهما، وهما على حالهما تلك؟! لا جواب يرد للكليات المنقسمة قوامها، تترك الروح إلى مُستقر لها! نهارات عديدة أخذت تتوالى بلا حساب، بدت مع ما حملته من مكابدات كقرون، فيما ليال عديدها أكثر راحت تختتم سورة كل نهار بآيات من الخوف أو الجوع، أو الاتنين معاً! أما سبناريوهات نحر الأطفال - أو انتهاك بطون الحوامل بالبقر بعد اغتصابهن أو الإجهاد على الشيوخ في الهزيع الأخير من أعمارهم، تلك السيناريوهات التي كانت ترسم ببطء، مترافقة بضجيج مُدو وصفيق، عداك عن الجماس، حتى لكان القيمين على تنفيذها خالوا إنهم أقرب إلى سدره المنتهي، في أعقاب فتوى أجازت انتهاك حق تلك الكائنات في الحياة - أما تلك الصور المؤلمة، فلقد أنشأت تستبيح أحلامهما في صورة كوابيس مرعبة ومؤرقة وواخزة على نحو يبرز الخيال، ما زاد في انهيارهما والخوف، حتى إن أرمنوهي أخذت تستيقظ - في غير غفلة - على صرخة تند عنها، فتقعذ فزعة، وتجيل بصرها المتعب فيما حوّلها، ثم تتنهد فيما يتشبه بالراحة، إذ تكتشف إنها إنما كانت تحلم! أكثر فأكثر - إذا - كان عليهما أن يحتاطا تحركهما البطمىء من غير أن يتكهنا بالكيفية أو يتيقنا، فلذا بحذر أضحى - لحظة فلحظة - يندغم بصلب تكوينهما، هما - على نحو أكيد - ما عاد يوسهما تلمس الاتجاهات بشكل أكيد، فلم يتبق لهما سوى شمس حارقة يتسرمان دريها جنوباً بدلاتها، بعيداً عن كرفنالات الموت وأعراس الدم، التي تخلفت بتدبير مُسبق، فهل سيتاح لأرمنوهي - غزالة أراربات الرشيقة ومانوشاكا (I) الحيي - ذات الثمانية عشر ربيعا، تلك التي بدت لفرط نحوها كخيظ من أنين، هل سيتاح لها أن تنجو ببياضها البهيج؟! كانت الفتاة فارعة الطول كشجرة حور ياسقة، نحيفة، ضامرة البطن، لكن صدرها الناهد، واستدارة حوضها استدارة نصف قوس، وبشرتها البيضاء، ناهيك عن عينين لؤلؤيها سواد الزيتون ولبياضهما لون حليب الأمهات، محضاها أنوثة وجاذبية لا تقاوم! وهل سيكتب لأرشاك - ابن العشرين عاما - أرشاك الفارس ذي المنكين العريضين، اللذين يميزان أصحاب الحرف اليدوية المهجدة، أن ينقذ ما تبقى من سلالة ذبيحة كتب عليها النحر في سياق غامض - آنذاك - وغير مفهوم؟! ثم متى سيقبض للأفلاك أن تعود إلى

" 1 " مانوشاك ؛ زهرة النرجس ، الزهرة الأشهر في أرمينيا.

رحيل الأعشاش مع الريح

• طالب همّاش



وتنقلت جريحا من حجر الصبر إلى
حجر القبر
وأنت بغير فتات الفاقة
لا تقنات !
من يبتاع بقوت الفقر أغانيك
وأسرار الترجيع الشعري الموزون
على بحر الحسرات ؟
مؤلة حاجة روك يا بن الحاجة
أفرك الحزن وأعبتك الفاقة
بين عذابات العوز وذل الحزن
وما أصعب في الحزن الحاجات !
دق شتاء العمر على باب الدار
و حين فتحت الباب
وجدت جميع نسانك يذرفن مع المطر العبرات !
لا مصباح يصب الغصة في العقل المظلم
لا باب ليفتحه الليل على طيف عزيز ضاع ،
وصوت صديق مات !
ما أقسى أن تقعد مجروحا في هذا الهجر
وهذا البين !
لا قلب ليشفق بالعطف عليك
ولا تدمع من أجل فراقك عين !
تشقيق الغربة بالشوق إلى أحضان الدار
المهجورة
وترفرق روك كالفيرة البردانة
في شتوية حزن بردان
فاه من هبات الشوق على المشتاق
إذا طفر الدمع من العين وجاش !
من يعرف كيف يكون الشوق مع الهجران
وكيف يعاش ؟
أه كم هو مشبوح نعش شتاك يا همّاش !
غنيت أغانيك المغلوبة ببكاء حيران
وسافرت بعيدا
كالضائع فوق طريق مقطوع
فلماذا نسمع صوت أساك
يدق على سندان الحزن بإيقاع موهج ؟
ولماذا نسمع بكوة روك
في رعشات حروف الجوع ؟
يا همّاش الليل هو الإيقاع الأسود
للقلب المضجوع ..
من قبر الغربة يعلو مران المطر الميت
ويرتفع الجرح الدامي
ممتلا بمرارة روح الأرض
ويهطل لशल الغصّات كمنقود دموع !
من قبر الغربة
يعلو كأس مراثيك المترع بالأحزان
ومن أعماق الحزن المتاعه
يصاعد كل شقاء الأرواح المغتربه !
من قبر الغربة
يعلو صوت نوح البحر
وتركض (كالكونشيتو) المتوحش
فوق الجمر قلوب الريح المنتحبه !
ووراء غروب الشمس الدامي
يتلاطم إيقاع اليأس الموحش كالأمواج
بكل مرارات العمر المفتصبه !
من يرحم روح الراحل يا بحر ،
ومن سيزيل الكرب عن النفس المكتئبه ؟
يا ربّات الغيم ترقرقن على روعي البردانة
بالعبرات المنسكبه !
وعلى ناري يا غيمات ترقرقن برخرخة
الأمطار !
من جمار الروح المكروبه
لا ينزف غير الدمع
ومن هذا القلب الباكي
لا يتدفق غير نريف الحزن الحار !

ونوافير الجرح بغير الدمع النازف ليس تُدار .
أه لو كنت عرفت عريشة تنهيدات
في حوش الدار !
لو كنت تسمعت إلى أغنية البلبل
وهو يزقزق سكرانا بين شرارات الأزهار ..
لو أنت تنهت إلى إحساسك بالموسيقى
النهرية
وهي تسافر من غيتار إلى غيتار ..
لو كنت غفوت على كتف النهر
تهفّف حولك هبات الريح ،
وتحمل روك للنوم منات الأعشاش
وا أسفاه على طير سعادتك الأبيض
طار مع الصبح
وما عاد مع المغرب غير غراب
يملا بالشوم الأحرش !
أه كم أنت جريح في غربة عمرك
كم أنت ضير يا همّاش !
تترامى أرجاء رحيلك مقضرة
قرب ضريح البحر
فتقع كالمهجور على حجر الصبر
وتنصت للقبر ، فينتحب الفقر
.. تحديق في البحر فيشتد سكون القبر
تغص البكوة في الصدر
فيمتد خواء القصر
فكيف تراخ الروح المتقرّبة المرّة
كيف تراخ ؟
وحرارة روك ما عادت تطفنها
في الهجران جراح !
رقدت في محضن هذي الأرض
بقرب أخيها الميت أختك الميتة
وانتشرت رائحة الوحشة في الريح
فاه من نعي يتعالى في الليل الفاجع
مهزوما .. محزوننا ويصاح !
وسألت حزينا
يا آخر زمان الصيف
أما من أحد في الدار المهجورة
ليبرخ من العبرات على من راحوا ؟
راحوا مجروحين وما تركوا
غير سطور الحسرات على حيطان الدار !
يا همّاش لقد رحل الأحباب وغابوا
مثل ظلال الغيم العابر فوق جدار !
فلماذا يتعاضم فيك بكاء القلب
ومن هذي المقل الغضة
لا يتدفق غير نريف الدمع الحار !
توقظك الريح من الغفوة بعد حصاد القمح
فتدرك كم كان حزينا
في الصيف رحيل الأعشاش !
كم هي مقضرة طرقات الترحال المرّة
كم هي موحشة هبات شتاك يا همّاش !
لو كنت سمعت حفيف حواكير الرمان ..
لو أنت عرفت البكوة في حزن عزيز
وحلمت بإغفاء أغنية
في عش حنان !
لو كنت وقفت على شباك شتاء
يتخرج بالدمع البردان !
وسمعت على أدرج الليل
مواويل العشاق المتاعين
وكفكت الدمع من الأجنان !
لو كنت شربت بأول طاسات الصبح
دموع المطر الأزرق من أظهر غدران ..
ما كنت غسلت مدامعا بكؤوس الشوق
ونحن عطاش
أه من وحشة روك يا همّاش .

قصيدتان

• محمد العامري

قميص الحديقة

سأقول عن الريح حين تمر على ثوبها القمري
وعن يدها في يدي
سأقول عن النهر في نحرها حين يمسح أحلامه
في العقيق وحين يمر على ظلها
منذ خمسين وعدا وأنت تحوكن قرنظة ذبلت في
الخيوط .. تحوكن قلبي ورجفته في الضلوع

أقول عن العشق

عن صور شهقت في الجدار
وعن يدك المرمرية حين همت في قميصي
هناك تلوحين مثل تفاعلة سقطت في الغموض
هناك تمرين
قرب مكوث الأصابع
عند باب الهواء وتفتسلين
هناك سامكت قرب باب الخميس
بعيدا عن الماء أمحو لهاي
أنا وحدي اقتدتها لكفي العشق شوقا
ومالت عليه الظنون
وحيدا أصادق وهمي
وأهجر بيت الهوى
والتياعي
وأهوي كرجم بسيط
ينوء بمراتك الحجرية قرب سهيل الملابس
سوف نظل على بابنا
نشرح الوقت عند سقوف بكى أهلها سنديان
البيوت
ونرجع في يدنا فلة وعلى كتفينا غبار الطريق
أقول عن القتل
عن قمر سائل في النواهد
عن شجر يشتهي زرقة البحر
عن حجر طائش في السديم
وعني إذا سكب البحر برقا وعاد
فأنت مدادي على ورق العشب
برقت كأثر في عتمات
المكان



أه من أرجاء رحيلك
كم هي مقضرة يا روح
وأه من شيطان نواحك
كم هي موحشة يا همّاش !
أبواب خريفك مشرعة
لفراق رفاق العمر الأعمى
وشبابيك شتاك مشرعة لرحيل الأعشاش !
وترقرقت بروحك كالماء النهري
تغني أغنية المشتاق إلى الدار
فأين هي الدار ، وأحباب الدار
كان العاشق لا غنى للعشق ، ولا عاش !
قدست عذابات القلب
ونفسك مترعة بالأشجان
ومجدت مرارات الروح
وأنت بغير أغاني العزلة لا تعتاش !
تبكي روك في مطرات الليل
ترقرق هذي العبرات البردانة
فوق شبابيك الغربة
ويغير الغربة
سهم الموت الغادر ليس يراش !
كأس فراقك ما راق ترقرقه المرهق
للقلب المر
ولا طعم مرارته الأسن راق !
رقد الماء الأسود في قرح الدمع
وسافر مشتاق !
من يعرف كيف تروق العبرات
مع الغربة يا عين ..
وكيف تغص البكوة في صدر معاق ؟
أه من رقرق العبرات
بغير مرار الغربة ليس يراق !
يا لوعة قلب ملتاغ في الليل الفاجع
يا نغمات غناء موجعة
في درب الحسرات الضائع
عيناك غروبان ضريان
وروك شمس غاربة
تترامى شيطان كابتها في بحر فراق !
ما عاد القلب يطبق الصبر
ولا عادت فاجعة الغربة يا صبر تطاق !
كل مغيب تتقبض الروح من الضيق
ويختنق القلب
وترتعش النفس من الإشفاق !
لم يبق سوى كلمات خرساء
يمزق مخلبها الأعجم غمة هذا اليأس الدامي
وعتامة هذي الأعماق .
وا أسفاه على كأس فراق
ما راق ترقرقه للقلب ،
ولا طعم مرارته راق !
حملت متاعك في أمسية حزن
ورحلت على نعش الليل
وشيعناك كشمس المغرب من شباك فراق !
أه لو كنت سمعت غناء الحسون المنساب
حنونا وحنون !
وحملت بغفوة حب في أعشاش الكون .
لو كنت تأملت سعيد الببال
سما الوادي ، والغيم المتهادي
في تحليق شفاف موزون .
لو أنت غسلت دموعك
في الماء النوراني المتألئ من زهرة ليمون ..
وقطفت الشمس من شجر العشق العالي ،
وتأرجحت من السكر برائحة الطيون .
يا بن الطيبة والضيعة والوادي
كل شتاءات العشاق لها أعشاش
في برد الغربة إلا شتوية عمرك
يا بردان بلا أعشاش !
أه كم هي موحشة هبات شتاك يا همّاش !
أوقدت سراج الفاقة فوق ضريح الفقر المصن

أماليا وراسل

• ربي منصور

ببهجة وفرح فُض عرس أماليا .. لكن أمها، كانت مضطربة بالقلق.

لقد ألحت ألحت، وأجبرت زوجها على المرور إلى بيت العروسين قبل خلودهما إلى النوم.

كانت تريد إلقاء نظرة فحسب على روبات العرس، الذي كان يدعى "الحكم" في تلك الحقبة.

جُل ما كانت تخشاه؛ أن تكون ابنتها العنيدة، قد غيرت وضعه، أو ربما أخفته في مكان ما بعيداً عن الأنظار.

لما دخلت الصالون، رأته موضوعاً على تربييزة قرب "التلفزيون".

كما تركته البارحة، كان جالساً بوقار، كتمثال بوذا، كأنما يفكر في الوجود، سارحاً بأعماق الكون.

لتطمئن أكثر، تأكدت - قبل مغادرتها - من وجود الخاتميين - الجدولين بسلكي الكاميرا النانوية - في أصبعي العروسين.

وهكذا غادرت بارتياح، والفرح يشع من عينيها.

ولكن، في غيابها اشتعل الغضب في منزل ابنتها.

ما إن ساد الصمت برهة، حتى صاحت أماليا بصوت حائق:

- إن لم تعتذر فوراً، سأضرب عن النوم معك.

يا إلهي! كم بدت سخيطة في العرس.. ألا تخجل من نفسك؟ قلت لي بفضاضة: "لا لأرغب الآن في الرقص" ..

بينما كانت ريناد تنظر إلينا بشماتة. ثم نسيته، حين حملك أصدقائك على الأكتاف، وبدأت تغني "موعود بالعذاب يا قلبي.."

إن لم تعتذر الآن، سأنام وحدي في الفراش.

كان راسل يتأملها بهدوء، أشبه بشبح يحثها أكثر فأكثر على الصياح.

لم تشر عيناه إلى أي انزعاج.

فجأة بدأت بالرمش والوخز، وأخذ يفركهما إلى أن هدأ الألم.

ولكن، كان ثمة وجع آخر يئن في أعماقه.

على حين غرة صبت ملامحه لعنة.. كل ما خزنه قلبه من ضيق وغضب، تبعثر مع صوته المتهدج إذ قال:

- فليذهب الرقص إلى الجحيم. أنت يا بعد عمري الملاك!..

قبله واحدة لم أنلها في العرس.

بحجة تلك الخصلة الملوثة قرب عينك كثعبان أهنتني أمام الحاضرين. ومنعتني من لثم خدك حتى.. وحين دخلنا الصالة دفعتني إلى الخلف بعنف.

خوفاً على الضتان دست على كرامتي يا ست الحسن والإهانات!

فقاتلت باستنكار:

- بجد زعلت؟ بدل أن تشكرني.. سامحك الله. دفعت مليوناً ثمن الضتان، ولا تريد أن تظهر زينته في الصورة؟

- سامزقها الآن، إن لم تعتذري فوراً.

أكثر فأكثر غاصا بتفاصيل ممل، وتجادلا، ثم، رويداً رويداً تحول الصياح إلى صراخ.

بلا خجل تبادلوا الشتائم، واخترق صياحهما الجدران.

في تلك البرهة بدأ جارهم يطرق الباب، ويخبطه بعصبية.

ولما فتحه راسل، اندفع الرجل إلى الداخل، وقال بانفعال:

- ألم تشتريا الروبوت الحكم؟ كما يفعل عرسان هذه الأيام؟ أم أنك أهملت أيضاً - يا جار الهنا - شراء خاتمي الزواج من المحكمة؟.. من سيسجل الآن الإساءات؟، ويصور ما دار بينكما؟.

ولكن، حين جال النظر، ورأى الروبوت، أردد ببهجة:

- ممتاز. يبدو باهظ الثمن.. برأسه الكبير وعينيهِ القرمزيتين، سيمنحكما أحلى زواج في العالم. هيا. اخلعا الخاتميين.

بصمت امتثالا للأمر، فوضع الجار خاتميها في عيني الروبوت، ومكث واقفاً.

بعد برهة انتزع الخاتميين من الروبوت، وناولهما للعروسين قائلاً:

- إياكما أن ترفضا أوامر الروبوت.. بلا تلوؤ نفذا العقوبة، التي يرضها عليكم.. أرجوكم أريد النوم.. دوامي يبدأ في

الثامنة صباحاً. ارحماني ترحمكما السماء.

ثم خرج على عجل.

لبد العروسان ينظران إلى الروبوت بذهول واستغراب.

كان الآن في حالة تشغيل عام.

لقد بدأ يعالج المعلومات، التي وفدت إليه من الخاتميين.

كسلسلة من الخوارزميات أخذ رأس الروبوت يحصي الإساءات، ويحلل المواقف، التي سجلها الخاتميين طوال النهار والليل.

ومتلماً برمج تماماً، أنهى العمل بجس آثار قلبيهما، كي تأتي العقوبة على قدر العدل والحب بعيداً عن أية إهانة أو ذل.

وبعد دقائق أمر الروبوت الزوج، أن يرقص رقصة "ستي"، فتغذ العقوبة على الفور.

أما أماليا، فلقد ترقبت عقوبتها بنوع من التحدي.

حين جلس زوجها أمامها أضاء أنف الروبوت، ثم قال بصوت غريب، آلي النبرة:

- القبلة التي حجبته عن زوجك في العرس.. ستتضاعف.

رغم الخصلة الملوثة تلك، ستقبلينه عشرين مرة.. هيا اقتربي.

فوقفت أماليا بلا حراك، تنظر إلى الروبوت باستنكار.

كان راسل يعرف أماليا جيداً؛ إن صمتت هكذا، فهذا يعني؛ هي لن تمتثل لأي كلام.

على الفور قال:

- يرحم جدك، نفذي الأمر. ألا تعلمين عادة الروبوت؟. سيظل يصفر حتى تنفذي العقوبة.

أرجوك، لا تفضحينا. هيا اقتربي.

آنذاك، لم يكن لدى أماليا سوى الحمام.. بلا إبطاء دخلته، وباستهجانها الشارد أغلقت الباب.

هنا استمر الصفير، ولكنه تبدد في أرجاء البيت، كمواء هرة وقعت في بئر عميق.

ثم حاول راسل النوم، فلم يأتته النعاس.

في أوقات الأرق كان ينجح أحياناً في كتابة الخواطر.. ما إن يمسك القلم وينسرب الحبر حتى تمتد أفكاره كسلسلة من النثر والأشعار.

اختار أريكة قبالة الروبوت، وراح يكتب؛

ما أعرب الحياة!

وما أحببت تلك الرء!

من مكان ما انسلت

وحولت الحب إلى حرب

لا حبيبين

مثل النار نستعر الآن

كم مرة ينبغي أن نلتهب غيظاً؟



كم مرة سنشدو حمقاً؟

أماه! أيتاه!

أين أنتما الآن؟

أين الوداد؟

أين معزوفة الحب؟

دلوني كيف أنتزع منها تلك الرء

فقط لو أسمع أغنية الغرام؛

مبتوثة من الأزل

من غيرروبوت

وبلا حكم.

من غير حماقات أود سماع

موال الحياة..

وحده الحب يدهق أوصال الببال

وحده لا يابه بزينة فستان

أو قرط ماس

هو ذاته يعاند شيطاناً؛

مغرم بالخصام

هكذا هو الحب؛

يفرز الترهات أحياناً

لكنه أتى من عمق الرحمة

لم الروبوت؟

أماه! أيتاه!

متى يتوقف الصفير؟

قلباناً مغزولان بالحب من الأزل!

متى تتوقف الحرب؟

متى يفمرنا السلام من غير حماقات؟

فجأة، سمع راسل صوتاً غريباً، فالتفت نحو الروبوت.. هنا ساد الصالون صمت مريب.

ثم سرعان ما انطلقت سحابة ملونة من فم الروبوت، تخلب الألباب.

جالت ثوان في أنحاء السقف، وما لبثت أن أحاطت براسل.

كأم حنون تخشى على وليدها من البرد، غمرت جسده من أعلى إلى أسفل.

ثم صدر صوت غريب، آلي الطنين .

هو الروبوت لاريب، من بدأ يقول بسرعة تشبه النداء العاجل؛

" هي ذي غيمة العاشقين. أرسلها إلى أماليا فوراً لأجل الحب.. ثمة عشاق متخمون بتضخيم الذات وحب الأنا.

أرجوكم! أهملنا صدى كلمة "أنا" التي تسمعتها دوماً قادمة من الأعماق.

وبدل أن ترددنا "أنا أنا أنا.."، استبدلناها بأنا وأنت.

أنا وأنت سنبنينا جنة، ونغني معاً موال الحياة بحب.

هيا. المس الجزينات القرمزية لترسل الغيمة إلى أماليا."

إثر لمس راسل للجزينات، تبعثرت السحابة فوراً. وبعد هنيهة تكومت مبتعدة إلى الحمام، فتبعها الشاب إلى هناك.

بذهول مكث واقفاً يتأملها مندهشاً.

وبحيرة استغرب كيف تحولت إلى خيوط؟، ثم دخلت من الباب عبر الشقوق وثقوب القفل.

ثم، لم يدرك.

نفذت أماليا أمر الروبوت؟، أم أن الغيمة، هي التي لمست زوجته فخرجت من الحمام على الفور؟.

ما اختبره في تلك اللحظة، كان أجمل من أن يقف، ويفكر بأي شيء.

كانت شفتا أماليا، قد غمرتا شفتيه، وذراعان ناعمتان ضمته بقوة أكثر فأكثر، فدارت الدنيا به.

شعور عذب طري سرى في جسده، واستمر يداعب بلطف كل خلية من أطرافه، وفضاء خياله.

لعلها التشوذة.

أو ربما، هو ملاك هبط من السماء، وسكن روحيهما معاً، فاتحدا في الحب، كما لم يتحد من قبل أي كائن على وجه الأرض.

ما بعد التفكيكية/ ما بعد تيار الحدائثة - ٢ -

• د. معن النقري

جون إيليس أستاذ الأدب الألماني في جامعة كاليفورنيا (سانتا كروز) يتابع نقد وتفكيك التفكيكية على مثال آراء دريدا بخاصة، مع التعرّيج على التفكيكيين الأميركيين أيضاً، ومع محطة مخصصة لآراء «ب.دي مين» وأمثاله ممن يعبرون عن قناعة أن النص يشير إلى شيء ما مناقض تماماً لما يعنيه في الظاهر - وهي قناعة مرتبطة في رأي إيليس بفكرة أن الوسائل الأسلوبية - البلاغية للشكل هي «جزء من المضمون»، أي وجهة النظر ذاتها التقليدية المتأسسة على وحدة وعدم انفصام الشكل والمضمون في النص الأدبي.

ويربط إيليس نمط التفكير الذي يميز التفكيكيين بتقليد قديم لطالما ميز المثقف الفرنسي الذي وجد نفسه وحده موقفه في معارضة البورجوازية العمياء وأجهزة السلطة الرسمية، فالحماس هو الذي حدد موقف ر.بارت الرويوي، أما موقف ديريدا فقد اتخذ شكل النظرية الفلسفية، وفي سائر هذه الحالات والمواقف وأمثالها وجد ناقدنا الراهن إيليس أن النخبوية الثقافية هي بمثابة موقف محصّي قبل وأكثر من أن يكون موقفاً مرناً. إنه موقف تهادنيّ تصالحيّ مع أجنّدت تفكير الثقافة البريسية المدرسية (الأرثوذكسية)، ولكنه لا يوافق التفكير الأصل الأوريجينالي الإبداعية، وأميركا باستعدادها التهدي لاسقبال واحتضان التنوع ليست تربة صالحة وملائمة لتطور وتطور التفكيكية إلا ظاهرياً.

وكان بعض مثقفي فرنسا ذاتها، مبكراً جداً وقبل إيليس وبعض الأميركيين، قد سبقوا إلى انتقاد ما بعد الحدائثة وتفكيكاتها منذ السبعينيات، وهنا مثال دال، وبلغ على ذلك من رأي وتقويم سيمون دي بوفوار، برمزيتها الوجودية الفلسفية الضيحية - تقويمها «للفلاسفة الجدد» ممن صار بعضهم من رموز وأعلام بعد الحدائثة والتفكيكية دعائياً لاحقاً، سُئل دي بوفوار: «ويطوّر الأفكار؟ إن ما يقوله الفلاسفة الجدد، مثلاً، ألا يبدو لك حديثاً جداً إذا فكرنا في ما كان يقوله سابقاً بعض أصدقائك (كامو ومرلوبونتي)؟ فأجاب: إنني لا أعرف الفلاسفة الجدد معرفة جيدة. إنهم يزعمونني... فقد قرأت ثلاثة أو أربعة من كتبهم... لا يبدو لي أنهم فلاسفة، على الإطلاق، ولقلمهم جدد. إن كل هذه الضجة المتفعلّة حولهم هي نوع من الدعاية. ثم إنهم في وضع يمكنهم من ذلك. فمن السهل ابتكار موضة ما. وما قد بدأ الحديث الآن عن رومسيين جدد! فالتناس لم تعد تعرف ماذا تخترع... إن كل موضة تحدث ضجة... فالتناس بحاجة دائماً إلى لاحقة معينة والنجاح مبني دائماً، إلى حد ما، على سوء فهم».

وما هي أسباب شعبية الأفكار التفكيكية في النقد المعاصر، والأميريكي منه بصورة خاصة؟ يرى إيليس أن نجاحاً كهذا ارتبط بتطور «النظريات النقدية» من المرحلة السوسيو ثقافية السابقة؛ فاللهجة السالفة في خصوص قانونية التباينات في التصورات النقدية تتحول بلا عناء إلى «نظرية النصية» وإلى نقد مؤلف «قرائياً»؛ والرفض السابق لأفكار الموضوعية في النقد

يتحول بالفطرة إلى نظرية مؤداها أن سائر قرارات النص متأسسة على اللافهم. إن أفضلية ونباهة الخيال والإبداع الفرديين - النقديين تجدان خاتمتها المنطقية في الرفض التفكيكي للتباين بين الأدب والنقد. إن «لانضوبية النص» تتوالف بسهولة مع التصور حول «لا نهائية الدلالة/ المعنى» في «لعبة العلامات/ الإشارات» التي لا حدود لها؛ ومن التبعات الأسوأ لانتشار التفكيكية طابعها المعادي للنظرية والتنظير كخاصية عميقة وفارقة؛ هذه الخاصية جلبت لها النجاح في أميركا وأوروبا، ولا سيما في ظل تضليل حول النقد الأدبي بأنه حقل معرفي جاهز للتخلي عن الحس المجتمعي والشأن العام. ونتيجة ذلك راهنا «تياراً اعتباطياً من الأعمال النقدية» مع تخفيض المنسوب النظري للدراسات، بل واستبدال الاستجابة النظرية باستجابة وهمية.

إن مزاعم الأصالة وأدعاءات الخصوصية والتميز رافقت الطرح التفكيكي بأن أي فهم تأويلي هو بمثابة «لافهم»، وهو طرح قابل للإرجاع أيضاً وبدوره إلى مفاهيم تقليدية، إذ يكفي إرجاع بعض العبارات التفكيكية من قبيل «العماء» و«الرغبة»... إلخ إلى الصيغ المألوفة المتداولة، ليبدو حالاً أن ما يقبع خلف التأكيدات الفعالة خارجياً وظاهرياً هو حقائق فاقدة لأي اهتمام أو خصوصية، بل وخاوية؛ هكذا هي الحال مع الحديث عن أن التأويل لا يستغرق (لا يستنضب) مادته وموضوعه حتى النهاية لأنه مجرد تعبير عن وضع عام. والتفكيكي وحده هو من يحول المحدودية العادية المألوفة لأي تأويل إلى حجة ضد الموضوعية بعامّة، بل وضد التأويل ذاته أيضاً؛ هنا مجدداً «اللانهاية البلهاء»، كما الحال مع تصور «لعبة اللغة» لدى ديريدا؛ إن صيغة التأكيد الحاسمة هي التي تقود إلى الإخفاق؛ كما أن طرح: «- أي فهم - هو لا فهم» مجرد «شعار»، أو بالأحرى «استعراض» بمنطق ساذج وفج. من الواضح في الواقع أن تأويلاتنا لن تخلو ولن تتحرر أبداً من وحدانية الأبعاد ومن الأهواء والمزاجيات الذاتية، لكن المنطق التفكيكي يتوقف طويلاً عند هذه اللحظة ويمددها لتوجيه الاتهامات للجميع وكل (عدا ذاته) نتيجة رغبته في أن يصبح ذا دور مركزي تنفيذي وأن يجبر الآخرين على إيقاف نقاشاتهم وحواراتهم العلمية للتباهي بأقواله وقولاته. ومن التصورات الضاجة الصاخبة لدى ج. ديريدا طروحاته حول «النصية» و«لعبة العلامات/ الإشارات»، وهي تأتي بخلفية تصورات عادلة، لكنها غير جديدة، بأن «النص لا ينضب» (غير نضوب)، إلا أن طريقة التفكيك تهبها دلالة ومعاني مختلفة كلياً؛ تضجير الارتباط بالمؤلف، وبهذا تقوم نظرية النصية بافتراض قطع الصلة بفكرة الدلالة الثابتة المستقرة، النص الآن يعيش حياته الخاصة مع مصفوفة كاملة من المعاني الممكنة بصورة شاملة لا تعود قابلة للضبط لا من ناحية نشاط المؤلف ونواياه وطموحاته، ولا من جهة أعراف وتوافقات اللغة. وفي المحصلة لا تعود «لعبة» النص تعني فعلياً استقلالية موضوعيته، بل تحرير ذاتية القارئ الذي بات بذلك يشغل مكان المؤلف. وتحرير النص من المؤلف بواسطة «النصية» - حسب تقويم إيليس - ما هو إلا

ما نجده في تصورات نظرية تفكيكية أخرى مختلفة في صيغة «نقد الوسطية في صياغته المتطرفة» - نقد الاعتدال - Laissez faire - بمعنى أن منطق المحاكمة والمحاكمة في منطق التفكيكية يُنجز قفزات وطفرات من أحد التطرفات إلى الآخر المعاكس متجاهلاً «الفضاء الوسطي الهائل» المرتبط «بالمشكلات الأصلية» للتأويل. إن أي تصورات وتنظيرات تخضع لدرجات متفاوتة الاحتمال واليقين، وهذا اختبار مستديم ومتواصل لها، إذ أن تقويمها سيحمل على الدوام طابعاً نسبياً ومؤقتاً، وهذه حقيقة معروفة قبل التفكيكية وفي غنى عن مزاعمها أيضاً؛ والاستعرا ف إذن ليس موضوعياً بالمطلق (بمعنى أن يكون «حقيقياً بلا جدال»)، كما أنه ليس فردياً اعتبارياً لا تمكن الإجابة عليه.

إن كافة المحاكمات والمحاكمات لصالح النصية وفي خدمة التأويلات المتولفة على المزاجية والاعتباطية القرائية - كلها تجري تنقلاً في الاتجاه من تطرف لآخر، وكما لو أن رفض أحدها يعني قبول الآخر حتماً.

إن فهم «النصية» بهذه الصيغة - حسب الناقد إيليس - هو «أطروحة مؤذية» تحث فعلياً على رفض التأويل، مما يلائم كسالى الناس وحدهم من الغرباء عن الأدب، ولا تخطئ نظرية التفكيك عندما تؤكد أن الناقد مبدع، بل تخطئ كارثياً عندما تؤكد أن الإبداع النقدي يعني التحرر من الحدود والتحديات ومن التقييمات/ التقويمات الأعرافية التي تؤثر على نتائجه، بل بالعكس إذ ترتبط خصوصية النقد بقدرته على إيجاد حلول جديدة داخل التقاليد وعلى أساس التقويمات العرفية، وليس عن طريق «الشعارات» و«اللغة البديلة الزائفة» بدعوى تجاوز «العبودية اللاواعية» للتقليد.

• ج.م. إيليس: ضد التفكيك، سلسلة «نظرية الأدب»، خارجاً 92.03.003.

Ellis J.M. Against deconstruction. Princeton (N.J.): Princeton univ. press. 1989

• مقتطفات من حوار مع سيمون دي بوفوار: «الفلاسفة الجدد يزعمونني»: مجلة «الفكر العربي»، ع/10 آذار - نيسان 1979 محور العدد: المستقبلية علم العلوم.

- من منشوراتنا الأحدث في التفكيك والتفكيكية ما يلي: 1 - في «البعث ميديا» شبكياً إلكترونياً: آ - ما بعد حدائثيات تفكيكية: بين الفلسفة والأدب 2017/10/15، ب - نحن وما بعد بعد حدائثيات العقل والمعلومات والملكية الفكرية 2017/11/5؛ 2- في الأسبوع الأدبي: آ - فوضى ما بعد الحدائثة، ع1558، ب - نحن والفوضى، ع1576، ج - صلة المحلية/الموضعية بالحدائثة وما بعدها، ع1579، في 2018/2/25؛ د - تفكيك بعد نبوي في سياق اجتماعي، ع1615، في 2018/11/18؛ هـ - تفكيك مبكر وقفزة سبق إلى ما بعد الحدائثة في فنتازيا كيبيل، ع1618، في 2018/12/9...؛ و - آفاق النظرية الأدبية، ع622...

3 - في مجلة المعرفة الشهرية: آ - في الحدائثيات: الحدائثة والحدائثة ثم ما بعد، ع651، ث. 2017؛ ب - ما بعد الحدائثة: بعد البنيوية التفكيكية الاتصالية، ع662، ث. 2018.

لغتنا الجميلة

• معاوية كوجان

نستعمل خطأً مضردات في لغتنا يحسن بنا أن نعرف استعمالها الصحيح. من ذلك طائفة من هذه المضردات، أذكرها منجماً في زوايا متتالية في محاولة شريفة للتمكين لغتنا العربية الحبيبة.

نقول اشترت سيارةً خصيصاً لابنتي. والصواب أن نقول وكتبت (خصيصي).

نقول أيضاً: (لم يبق من المبلغ إلا النذر اليسير). والصواب أن نقول (النزر) بالزاي.

يقولون: (نضد المال) والصواب

أن نقول (نقد) بالبدال. قال تعالى في سورة الكهف: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي، لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً).

ونقول استنفذ الطالب فرصه الامتحانية فهو مستنفذ.

يقولون: (عامود الكهرباء) و(عامود الشعر)، والصواب أن نقول (عمود).

يقولون أيضاً: هذا أمر مكلف. والصواب مكلف.

يقولون: كفة الميزان. الصواب كفة بكسر الكاف.

يقولون: تجرّب وتجارب. الصواب تجرّبة وتجارب بكسر الرأء.

يقولون: ناقش في مختلف الأمور. والصواب (مختلف) بكسر اللام.

- يقولون: دخل الدار عنوة. والصواب (عنوة) بفتح العين.

- يقولون: وقع في مأزق. والصحيح (مأزق) بكسر الزاي.

وشمة طائفة أخرى من الاستعمالات الخاطئة أوردتها في زوايا لاحقة إن شاء الله.

سلاما سهيلة ، سلاما بصير والجولان في الأمكنة

• محمد الحفزي



نستعرض في هذا المقام تجربة الشاعر زهدي خليل الثانية التي تحمل عنوان "سلاما سهيلة ، سلاما بصير" وبصير هي بلدة الشاعر في محافظة درعا، أما سهيلة فهي بالتأكد تلك المرأة الحلم التي بقيت ساكنة بين جوانحه طوال تلك المدة.

وبداية نقرأ الإهداء الذي كتب فيه : " إلى بئر الماء في بصير، التي كانت دوحه للعشق والعشاق، وما زالت حتى اليوم تغدق الرواء لحدائقنا المسجحة بالهناء وروائع الورد" وتلاحظ بعد ذلك كيف انكفأت نظرة الشاعر وتراجعت عن الأحلام الكبيرة الناظرة من أجل إحقاق الحق وتغيير العالم ، لتغدو أصغر وأقل بكثير، لكنها بالمقابل هي الأكثر عقلانية ومنطقية وربما يكون وراء ذلك الحنين الذي يعيدنا إلى تربتنا الأولى وصرختنا التي بدأت أول مرة، وهذا الإهداء عكسي لما جاءه في ديوانه الأول شمس في كانون الذي حمله أشياء كثيرة تخص الكادحين والتطلع نحو الأرض السليبية . كثيرة هي الأصوات الشعرية التي التصقت حبا وكراهة في الآن ذاته بتراب الأرض، ومن ثم عرجت وحلقت في فضاءات الكلام وسماواته الواسعة والبعيدة، وخاصة في فترة الستينات من القرن المنصرم وصولاً إلى لحظتنا الأنبية، وما من أحد منا ينسى قصيدة "مطر" للسياح التي تصور من خلالها الجوع الذي حل بالبلاد، وهذا ربما يعيدنا إلى قصيدة "رحيل" للشاعر التونسي محي الدين خريف التي يقول في مقطع منها: "رحيل لأن الشتاء الحزين، وزحف الثلوج بأرض غريبة ، يلوح بالخيز للكادحين ويغلق بيتاً لأمي الحبيبة ، ويفتح نافورة من حنين" ويجعلنا نلتفت نحو السوداني محمد الواثق الذي يهجي مدينته أم درمان الملائمة للخرطوم أو تعتبر جزءاً منها حيث يقول وقد ضاق ذرعاً بالمكان: " لا أحيد أنت يا أم درمان من بلد - أمطرتني تكداً لا جادك المطر" والأمثلة كثيرة لشعراء من مختلف البلدان العربية.

وأنا إذ نستعرض هذه الأمثلة فقط لنشير إلى تجربة سورية وشاعر اسمه زهدي خليل، يستحق أن نشير لعمله وقد تجاوز الثمانين بعدد من السنوات. طبع أول ديوان له في بداية الستينات من القرن المنصرم، وهو يحمل عنوان "شمس في كانون" أما الديوان الشعري الثاني الذي بين أيدينا فقد طبع في العام 2016م من ناحية أخرى فإن العمل الفني يدرّك في علاقته بالأعمال الفنية الأخرى بالاستناد إلى "الترايطات" التي تقيمها فيما بينها كما يجمع منظرو الأدب لتتجمع فيه صفات وسمات قد تجعل منه خالداً، صالحاً لأزمنة تأتي فيما بعد وليس زمنه وحسب. والشاعر زهدي خليل هو من مواليد عام 1934م جاب مع والده مناطق كثيرة من سورية وفي مسقط رأسه "بصير" كانوا يطلقون عليه اسم الخيالي، لأنه كان يقول الشعر منذ الصغر، وهو صاحب ذكارة وقادة يجمع بها حقبة تاريخية وأحداثاً جساماً مرت على سورية والأمة العربية ، إذ يقول في ذلك : " عاماً سقيت من الدماء تلاه في الترحال عام " وفي مكان آخر يقول في مقطع من ديوانه الأول : " عاماً حرقت ولم أزل أشوي على الرمضاء عام ، لم يجدني الترحال يا فشلي رجعت إلى التراب " ليبقى سؤاله مفتوحاً " لماذا تغرق قوارب أحلامنا في رمال الشواطئ" وبالعودة إلى عمله الجديد لا بد أن نعاود النظر إلى مسألة الحنين التي تستولي على الإنسان وتجعله يشق مراتع الصبا والأماكن والأشخاص الذين لهم علاقة وثيقة بطفولته. لنقول بعد هذين المقطعين أن ثمة فوارق

الصين ثاني أكبر اقتصاد في العالم تقترض المليارات من البنك الدولي

• ترجمة : الدكتور مصطفى العبد الله الكفري

• ستيفاني دوه Stephanie Dhue

لا تزال الصين تقترض المليارات من القروض منخفضة التكلفة من البنك الدولي، وتحصل الصين على أسعار فائدة أقل من السوق للمشاريع الممولة بقروض من البنك الدولي للإنشاء والتعمير التابع لمجموعة البنك الدولي.

دعمت إدارة ترامب زيادة رأس مال البنك الدولي للإنشاء والتعمير بمبلغ 7.5 مليار دولار لمساعدة البنك على تقديم القروض للدول، حيث وافق البنك على تغيير قواعده لتقاضي أسعار فائدة أعلى للدول النامية ذات الدخل الأعلى.

وكان البنك الدولي قد وافق على منح قرض قيمته 500 مليون دولار للصين في عام 2016 لبرنامج مكافحة تلوث الهواء الذي يشمل الاستثمار في الطاقة النظيفة. وأفادت دراسة نشرت أن الصين تقترض مليارات الدولارات كل عام من البنك الدولي رغم وضعها كأكثر ثاني اقتصاد في العالم.

ووجد مركز التنمية العالمية أن البنك الدولي للإنشاء والتعمير التابع لمجموعة البنك الدولي يقرض الصين ما متوسطه مليار دولار سنوياً ، بلغ مجموع القروض أكثر من 7.8 مليار دولار، مما أدى إلى تجاوز البلاد عتبة دخل البنك في الإقراض عام 2016.

يقرض البنك الدولي للإنشاء والتعمير البلدان متوسطة الدخل والبلدان ذات الدخل المنخفض ذات الجدارة الائتمانية. ويستخدم موارد من تلك القروض لمساعدة البلدان الأفقر. لكن التوتير حصل لأن الصين تقدم مليارات الدولارات من دولارات الولايات المتحدة الخاصة بها كقروض للدول النامية بشروط غامضة كجزء من مبادرة "الحزام والطريق" لبناء البنية التحتية.

كانت إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب تنتقد الإقراض للصين التي تضغط على القروض لبلدان أخرى. لكن توقف الصين عن تمويل البنك الدولي قد يلغي أداة مفيدة للتأثير على السياسة.

وقال سكوت موريس ، الباحث الرئيسي في مركز التنمية العالمية والمؤلف الرئيسي للدراسة: " إذا كنا نريد أن تصحح الصين موقفاً أكثر مسؤولية في العالم، فعندئذ دعونا نستخدم البنك الدولي لمساعدتهم في ذلك."

نظرت الدراسة في نوع القروض الممنوحة للصين ووجدت أن 3 مليارات دولار ، أو حوالي 38 في المائة من الإجمالي ، ذهبت إلى أشياء توفر فوائد خارج حدود الصين، مثل ضوابط التلوث ومشاريع البنية التحتية الخضراء.

وكان رئيس مجموعة البنك الدولي جيم يونغ كيم، الذي أعلن استقالته مؤخراً، قد أعلن الموافقة على زيادة تمويل البنك الدولي للإنشاء

1 - شيرمان ، دي - كاليفورنيا ، عضو في لجان مجلس النواب للخدمات المالية والشؤون الخارجية.

الدولة	سند حكومي لمدة 10 سنوات	حجم البنك الدولي
الصين	4.03	+0.51 to +1.01
البرازيل	9.84	+6.32 to +6.82
مكسيكو	7.58	+4.06 to +4.56
تشيلي	4.57	1.55
تركيا	11.45	8.43
رومانيا	4.32	1.3

لا تحسنوا الظن بالغرب

• حسن إبراهيم أحمد

لا تزال ذاكرتي نابضة بما يكون مشاعر عدم الثقة بالغرب وسياساته، وإذ أعلن عدم ثقتي بهذا الغرب، فأنا أدعو الناس في بلادي، ممن يخترنون الذكريات المؤلمة أن يقفوا الموقف ذاته. فالغرب يا أصدقائي ليس مؤهلاً لنيل ثقة شعوبنا التي فعل بها ما فعل، وما زالت أنيابه وأظافره وشراسته للثروات والدماء قوية.

يستند الناس في مواقف عليهم اتخاذها في حياتهم، وما يخص بلادهم وشعوبهم، وفي شؤونهم الشخصية، على النتائج المؤكدة لتجاربههم ولدروس الحياة المؤكدة، كما على تجاربهم يمكن أن تستعملهم في اتخاذ مواقف سليمة. فالتوجيه الإيماني يقضي بالآلة للندم من الجحيم مرتين، لكننا لدغنا مرات عديدة من الجحيم ذاته، ويبدو أننا لم نفقد استعدادنا ونوايانا وجاهزيتنا لأن ندغ، اللهم إلا إذا عددنا ما يفعله الغرب دواء ودغضة لا لدغنا، ونكون قد سقطنا في بعض الاختبارات الإيمانية.

في أمثالنا ((من جرب المجرب كان عقله مخرب)). وفي قرينتنا يقول القدماء، إذا تعثر الجمار على درجة لا يعود للمرور عليها ثانية. وفي الحكاية أن الحية قالت لذاك الذي طالبها بالخروج من وكراها بعد محاولته قتلها للحصول على ذهبها المخزون، كيف آمن لك وهذا أثر فأسك؟

إذن هل تعرف البهائم كيف تتعظ وتتوقى، ولا يعرف البشر ذلك؟

يبدو الأمر كذلك، وإلا ما كان موقفنا من بعض الجهات يسير على المنوال ذاته، قبل أن نعرفهم، وبعد أن عرفناهم، فلا أعتقد أن مواطننا عربياً امتلك بعض الوعي، لا يستطيع معرفة الدروس المستفادة من سلوك الغرب تجاه بلادنا وشعوبنا خلال القرنين الماضيين.

كثيراً ما نشير إلى أن الغرب غريبان؛ غرب الشعوب، وغرب السياسة. إنما السؤال: لماذا تسكت شعوب الغرب على سوء سياسات حكامها تجاه بلادنا، وأذيتها لنا، وهي لا تسكت على سلوكهم في حال الخطأ في بلادهم؟ ألا يمكن أن نستنتج أن شعوب الغرب وهي تعيد انتخاب حكامهم الذين سببوا لنا الأذى، وسياساتهم المتحيزة ضدنا، والتي لا يينكرها سوى جاحد، هي شريكة حكامها في عدوانهم، بل وداعمة لهم في أذيتنا، في الوقت الذي تعلن ديمقراطياتهم اعتزازها بحاسبة شعوبهم لحكامهم في حال الخطأ؟

لماذا لم تقم شعوب الغرب بواجبها هذا وهي ترى الفضاء التي يرتكبا حكامها؟ وإذا كانت قضية فلسطين التي مكن الغرب الصهيونية من اغتصابها بمساندته ودعمه وإلى اليوم، هي في ذروة الأذى والاعتداء، الذي لم يشهد العالم له مثيلاً، فإن قائمة الأذيات تطول، وكلها تنتهي إلى نمط فظيع من الجرائم. ففي تقسيم بلادنا وتمزيقها من قبل القوى الاستعمارية، واستغلال خيراتها وإدامة تخلفها، يكمن أحد أبرز أسباب تخلفنا ذي المفاعيل المستمرة بفعل الهيمنة الغربية والتبعية. ما يؤسف له أننا نعرف ذلك بتفاصيله ولا نتعظ، أو لا يكون لنا موقف فاعل. من يقرأ تاريخ شبه الجزيرة العربية في ظل الهيمنة البريطانية، وكيف كانت هذه القوة الاستعمارية التي تشير سياساتها إلى النموذج الأقدر في السياسات الغربية، وتورثها لوريثتها الامبريالية الأمريكية، يلم بالأساليب القذرة، ومثل هذا الفعل مارسته بريطانيا في الهند، حتى أن جواهر لال نهرو، الزعيم الهندي البارز، قال لو أن سمكتين اختلفتا في أعماق المحيط، لكانت بريطانيا هي السبب.

لقد كانت بريطانيا تدير الصراع والصدام بين القبائل والقوى، بأسلوب التصفيات التي تقيمها النوادي والبطولات الرياضية، فتثير النزاعات بين الأسر البارزة، وهي مع الجميع وليست مع أحد، تمد الجميع بأسباب وأسلحة النزاع وتستثمر رضوخ الراضخين لسياساتها وأساليبها لتبقي الأكثر رضوخاً وولاء، ثم تعيد الكرة، ليبقى من يبقى ويتنحى من يتنحى، وهي التي تقطف ثمار النزاعات. واليوم يتباهى وارث هذه السياسة وهذه الأساليب، رئيس الإدارة الأمريكية (ترامب) بأنه يحمي هذه الأسر الحاكمة هناك على النمط العشائري، منوهاً أن أياً منها لا يبقى أسبوعاً دون حماية أمريكا، ولا يتردد في دعوتها إلى دفع ثمن ذلك، فيستنزف ثمن آخر برميل فقط تنزفه صحاريهم.

لقد اعتمدت شعوب الغرب مبادئ التسامح بعد استثناء الصراعات والصدامات التي أدت إلى الكثير من الدماء بينها، تحت عناوين عقدية تؤسس لها المصالح. وحروب الغرب الداخلية وملايين الضحايا فيها، وصولاً إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية، أبلغ الدروس التي أفاد منها الغرب، فذهب إلى التسامح كي لا يذهب إلى التفاني، وإلى إرساء السلام بدل النزاع، وهو الأمر الملموس اليوم. إنما السؤال: لماذا لا يعمم الغرب التسامح في علاقته بالشعوب الأخرى؟ لماذا نجد نمو

(الإسلاموفوبيا) التي أسس لها الغرب بدعمه لظهور الإرهاب، ومن ثم تظاهره بمحاولة القضاء عليه، ورفع الفزاعة منه في بلاده؟

وإذا كنا لا نحكم ببراءة المسلمين تماماً، عندما يستقرون في البلاد الغربية، من تنفير أهل البلاد وإزعاجهم في بلدانهم التي لهم الحق أن يعيشوا فيها كما يشاؤون، مثل رفع الأذان بمكبرات الصوت في الصباح الباكر، أو في ارتداء النساء المسلمات للنقاب، لأن البلاد بلادهم ولا يحق لأحد إقحام متطلباته على أهلها إذا كانت تزعجهم.

في كثير من القضايا يمكن أن يكون التعاطي أكثر حكمة من قبل الطرفين، ومن يقتحم على الآخرين بلادهم عليه أن يراعي آداب أهلها وحواسهم التي أرسوها، وفي حال كانت هناك بعض القضايا العالقة، فإن الغرب الذي أرسى قواعد التسامح بين مكوناته بعد النزاعات وإقرار حقوق الأفراد والجماعات، عليه أن يعمل على تمكين هذا التسامح بين الجاليات المسلمة التي أصبحت كبيرة هناك، مع أهل البلاد والآخرين. والإقرار بحق الاختلاف الذي هو أحد الحقوق الشرعية في هذا العصر، والمتفق عليه في شريعة حقوق الإنسان. وفي حال لم يكن هناك اختلاف، فالتسامح لن يكون له مكان في التفكير والحياة.

يمكن ألا ننسى أساليب الرد على الاعتداءات التي قصدت الغرب مثل حادثة الحادي عشر من أيلول 2001 مع كل ما أحاط وما يحيط بها من شكوك لا تزال تعبر عن وجودها. وبالتأكيد لم يكن الغرب متسامحاً معها في حال كان بريئاً منها، والدليل هو ما فعله في أفغانستان والعراق. ولو تتبعنا نشاطاته لما رأيناه يتسامح مع كبيرة ولا صغيرة في علاقته ببلداننا التي ينهب خيراتها، ولا يستغرب أن يكون وراء الكثير من هذه القضايا ليبقي على مبررات سيطرته علينا وتبعية الكثيرين له، وإبراز عضلاته وقوة أسلحته في ميادين نزاعاتنا التي يفتعل الكثير منها، أو لا تصح تبرئته من إدارتها.

وتظهر الفوارق في مواقفه تجاه العرب، بمقارنتها بمواقفه تجاه اليهود الذين مكنهم من اغتصاب فلسطين وحملهم ولأزال عدوانهم واغتصابهم، وإحدى حججه تلك الأضرار التي تسبب بها لهم في الحرب العالمية الثانية، في الوقت الذي لا يعترف بأضرار سببها لنا استعمارهم لبلادنا ونهب ثرواتها.

يبرز لنا تناقض الغرب واضحاً، عندما يتغنى بديمقراطيته التي لا نشك في إرساء أسسها في بلاده بما يرضي أهل تلك البلاد، حتى وهي تتوقف عند صناديق الاقتراع. لكن كيف تكون هذه الديمقراطية صادقة، عندما تقود إلى الاعتداءات المتكررة على الآخرين وإحداث الخراب في بلدان كثيرة كما حصل في العراق وغيره مثلاً، ثم لا تتحرك هذه الشعوب لزرع ومنع السلطات التي أنتخبتهن من أذية الآخرين؟

من مضارقات الديمقراطية الغربية، سعيها إلى حماية وتمكين دكتاتوريات شديدة القسوة عبر العالم، وهذا ما يبرز تناقض مبادئها، بل تناقض سلوكها أيضاً، ففي أمكنة لا تتردد في إرسال جيوشها تحت شعار تمكين الديمقراطية، في حين تترك مواقع أخرى سلطاتها شديدة الاستبداد، دون إشارة إليها، بل هي التي ترعاها وترعى استبدادها، طالما هي ترسخ صاغرة لأوامر السيد الأمريكي.

ما يثير الرغبة في الإشارة إليه، هو ما لاحظناه في خضم أزمات بلادنا. فقد تم الإقرار عالمياً، بما في ذلك من قبل قوى الغرب المهيمنة، أن الإرهاب قد برز بقدر عال في هذه الصراعات غير البعيدة عن تدبيره، كما أراد تصويرها بأنها تحركات ديمقراطية سلمية. إذا نحن تجاوزنا ما بدا معروفاً من أدوار الغرب المحرصة، بل ورعايته للكثير من صانعي الحركات وتمكينها لها، فإن مساهمة ديمقراطيته في ذلك هي المفارقة.

ومن هذه المفارقات المساهمات الكبيرة والواضحة لكثير ممن ولدوا في بلاد الغرب وتربوا داخل مجتمعاته، في مدارسها وجامعاته، وفي أتون ديمقراطياته، بدوا الأكثر وحشية في ممارسة الإرهاب حين سهل لهم هذا الغرب القدوم إلى بلادنا للمشاركة في الأحداث التي جرت فيها، وهذا أمر يجلب الخزي لقيمته وتناقضها، حين يكون ذلك تحت سمعه وبصره، وربما تدبيره، ودون أن يتخذ أي إجراء لتلافي ما يفعله هؤلاء من جرائم الذبح والتقطيع وكل أشكال القتل المقزز، مالم يصل ذلك مجتمعاته في حركة ارتداد الإرهاب إليه. بل إن الغرب لا يزال يدافع عن قوى الإرهاب وداعميها، ويمدها مباشرة أو عن طريق آخرين بما يجعلها تجدد وحشيتها. فالأمر عنده أن كل ذلك لا يجري في بلاده، أما الآخرون فقيمته عنده مقدار ما يكسب من أرباح عن طريقهم.

ليس هناك أساس متين لبناء الإرهاب على أسس عقدية وإنسانية وأخلاقية لكن عندما يوجد الإرهاب في بلادنا، سيجتهد الغرب لإبراز أسس وجوده التي يصنعها غياب التسامح والديمقراطية والعلمانية، وإذا كنا لا نقدر على نفي ذلك عن

ساحات بلادنا، إنما ما الأسس التي تبنى عليها إرهابيو الغرب هؤلاء في ظل التسامح والديمقراطية والعلمانية التي تنتسب بها مجتمعاته؟ بمعنى آخر، إذا كانت مناحات الإرهاب لها ما يبررها في بلاد الآخرين (المتخلفة)، ما الذي يجعله متمكناً في بلاده (المتقدمة)؟ وأي فكر يغذي هؤلاء باعتبار أن الإرهاب منتج فكري ثقافي أولاً؟

هل هذا فشل الديمقراطية الغربية؟ لا نظن ذلك باعتبار السلام الذي يعم الكثير من مجتمعاته المتسامحة. أم أن ديمقراطيته ديمقراطيتان، إحداها لبلادهم والأخرى للتصدير إلى بلاد الآخرين، وهي محسوبة الرعاية، مخططة ومدروسة جيداً؟

أن ينتج التخلف إرهاباً ففي ذلك ما فيه، مع كثير من الريبة، إنما أن تنتج البلاد المتقدمة ومجتمعات التسامح، فذلك أكثر ريبية وموضعا للتساؤل، خاصة أنه منتج في تلك البلاد للتصدير إلى مناطق أنهلكها استعمارها لها، فهو لم يكتف بما فعله فيها سابقاً من تفتيت ونهب وتخريب وتمكين زعامات مسيرة بالرومونت كونترول الغربي. وهذا أحد أساطين الفكر والسياسة في الغرب، كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق يقول في كتابه ((النظام العالمي)) الصادر عام 2015 إن هدف فرنسا من تدخلها في سورية في الأزمة الأخيرة، يأتي استكمالاً لما بدأتها قبل مائة عام، أي عبر سايكس بيكو.

هل علمنا ماذا يريد الغرب ومشاريعه من بلادنا؟ إنه لا يرتوي من اغراقها في الفوضى والتخلف، وإن كان هذا ليس عدواً لنا يبرر الكثير مما نتحمل مسؤوليته جميعاً، إنما يبرز صورة الغرب التي يتعامى بعضنا عن رؤيتها على حقيقتها، ويمكن أن نذكر هنا بكتاب الفكر روجيه غارودي ((الإرهاب الغربي)) الذي صدر عام 2004 وفيه فضح للأدوار الاستعمارية في إدامة الهيمنة على الشعوب الفقيرة وإحراقها بها تحت ما نطلق عليه التبعية، وقد أوضحنا بعض هذا في كتابنا ((التبعية - إشكالية السيادة المنقوصة والتنمية المعاقلة)). مع العودة للتأكيد أن ما نقوله لا يصح أن يجترح الأعداء للعرب ولأنظمتهم السياسية والاجتماعية. وقبل أن نلوم الغرب يجب أن نلوم أنفسنا، فنحن الأجدر باللوم وعلينا يقع عبء الخلاص مما نحن فيه.

لم نسأل لماذا يليق بنا أن نكون تابعين، كما يليق بنا الإرهاب ((جسمنا لبيس)) كعرب، وربما هكذا ينظر إلينا بعض العالم. لكن ذلك لا يليق بالغرب، إنما لا أحد يبحث عن اللياقة، بل عن المصالح.

العلمانية هي المخرج من القروسطيته، لكن عندما يخونها الغرب الذي أنتجها فيدعم اليهود لاغتصاب فلسطين وتحت مبررات دينية، لا أحد يتحدث عن خيانة العلمانية. وكذلك حين يدعم أكثر الأنظمة الإسلامية تزمناً حين يوافق ذلك مصالحه، وحين يجند قطعان المجاهدين المسلمين للحرب في أفغانستان ضد السوفييت، وحين يثير الثورات الدينية بين المسلمين.

الدولة الإسلامية (داعش) هي ماركة أمريكية غربية، وبرعاية غربية أمريكية كما يؤكد كثيرون، وهناك إشارات إلى تمكين داعش في بعض المواقع في سورية وتبقيها كفضاعة وتبرير لتدخلها.

تناقض الغرب في ديمقراطيته وعلمانيته، يبين ما يريده ويفعله لنفسه، وما يريده ويفعله للآخرين، وخاصة للعرب أولاً والمسلمين تالياً، ومثل ذلك ما تنتج من تسامح في بلاد الغرب، في حين تنتج في بلادنا مزيداً من الإرهاب في الحركات التي كانت له لمساته الواضحة فيها.

في مواجهة ذلك لا بد من تعزيز ثقافة الحق في الاختلاف، وعليها يقوم مبدأ التسامح الذي يتجاوز المنطلقات التاريخية ذات الصفة الوشائحية، فالحياة متبدلة متطورة، ومن لا يساير تطورها ستتركه على قارعة الطريق، ولن تنفعه أمريكا، ولن تقدم له إلا مزيداً من التخلف. وأخطاء الغرب في هذا المجال لن يصححها سوى موقف صادق تنتجته في بلادنا.

من أجل موقف عربي منسجم مع الذات، سليم المنطق والمنطلق، لنفكر على طريقة محمد حسين هيكل ولنفضل كما فعل، فهو يقول إن عدداً من القنوات التلفزيونية طلبت منه تقديم برنامج أسبوعي، لكن الولايات المتحدة الأمريكية ضغطت على إحدى القنوات كي لا يكون ظهوره عليها، وعندما علم، قال - كما صرح - هنا موقعي، أي حيث لا تريديني أمريكا أن أكون. فلنكن جميعاً حيث لا تريدينا أمريكا أن نكون، عندها نضمن أننا في الموقف الأفضل وطنياً وقومياً وإنسانياً وعقلانياً، أما إذ بقينا على نهجنا السابق وتبعيتنا لأمريكا، فعليه العوض. أن نحسن الظن بالغرب، يعني أن نسيء الظن بأنفسنا، والعكس صحيح. وللخروج من المأزق، لا بد من أن نحسن الظن بأنفسنا.

الهوية . سؤال أيديولوجي أم ثقافي ؟!

• أوس أحمد أسعد

”

حاولت المرحلة "الستالينية الجدانوفية" ترسيخ مثل هذا التصور. فانعكس وبالأعلى على المرحلة التاريخية التي عاشها المجتمع السوفييتي برمتها، بدأت بالهجوم العنيف على كل صنوف الإبداع الفكري والفني والأدبي تحت شعار التحرر الاشتراكي

”

لشعوبه بأنها "الفرقة الناجية" لوجودها من جحيم النار الكونية وهذه المقولة استخدمت من قبل كل كل أصوليات التاريخ بشكل أو بآخر. حيث ثمة "فرقة ناجية بكل مفاصل التاريخ تحيلنا إلى وهم قديم بأن الآخرين المختلفين عنا هم في ضلال. وخير مثال على ذلك، تجربة الفكر الاشتراكي الشمولي "الأصولية الماركسية". حيث حاولت المرحلة "الستالينية الجدانوفية" ترسيخ مثل هذا التصور. فانعكس وبالأعلى على المرحلة التاريخية التي عاشها المجتمع السوفييتي برمتها، بدأت بالهجوم العنيف على كل صنوف الإبداع الفكري والفني والأدبي تحت شعار التحرر الاشتراكي وانتشرت النزعات "الشوفينية" ضد تاريخية الدعاية لإحياء النزعة القومية، وتأطيرها ضمن الرؤية الواقعية الاشتراكية التي تتسع لكل الأجوبة والأسئلة، وأصبح المنتمون إلى هذه الفرقة وحدهم الناجون الموعودون بالجنة الشيوعية القادمة مقابل الآخرين الذين أقصوا إلى المنافي أو الموت والسجون. وكان أول التجلي انتحار الشاعر "مايا كوفسكي" 1930م وتدمير "الجهة اليسارية للسن" التي تمثل أصدقاءه من "الشكلانيين" الروس. وهجرة "ياكسون" صاحب فكرة النظرية البنوية إلى الغرب الأمريكي، وطمس أشعار "آنا أخماتوفا" لعقود من الزمن وطردها، وكذلك الناقد باختين "الذي نُفي إلى كازاخستان بتهمة النشاط المعادي للدولة، ولم تنج العلوم أيضاً من محاولة تعذيبها ضمن الأطر الأيديولوجية، حيث انتشرت الأفكار التي تعكس وعي استلابي يدافع عن نفسه بادعاء أنه الأصل في كل شيء، وهذا ما يذكرنا بمجتمعنا العربية التي عزت كل انتصارات الغرب وتقدمه إلى خلفية عربية تجاهلها الغرب عمداً، وأن بذور الحضارة كلها سُرقت من النصوص العربية "المقدسة" وأن أجدادنا العظماء قد أرسوا القواعد لكل شيء ولا جديد تحت الشمس. لذلك فعل "الروس" أيام الحقبة "الجدانوفية" حيث أحالوا أصل علوم الغرب إلى أصل روسي. وكان الهدف

برأي منظريهم هو إعلاء شأن الثقافة الوطنية التراثية وإحياء الاعتزاز القومي بالهوية وقد حفظت مجتمعات العالم الثالث الدرس بإنتاج أصوليات متشابهة "عرقية أودينية" كما حاول "الجدانوفيين" إيجاد علم ماركسي خالص في العلوم الطبيعية منطلقين من إنجازات "إنجلز" في "جدل الطبيعة" ورسائل "لينين" المختلفة في المادية الجدلية والنقد التجريبي، كمحاولة للإيحاء بوجود علم اشتراكي لا يشبه العلم الرأسمالي وهذا ما انعكس بشكل فظيع على المجتمع الروسي. حيث صاغ "ليسكو" عنواناً اسمه "علم الأحياء الاشتراكي" ولاحقت الدولة الستالينية كل من يشك به. حتى وصلت بعقوباتها إلى الإعدام. وهذا ما كاد يناله العالم "فافيولوف" إلى أن خفف عنه الحكم إلى السجن، مما عجل بوفاته بعد ثلاث سنوات. ونتيجة هذا العلم الاشتراكي العجيب كادت تحل كارثة حقيقية بالزراعة السوفييتية التي لم يعلن عنها إلا في عهد "خروتشوف" كما يقول الناقد المصري "جابر عصفور" في كتابه / النقد الأدبي والهوية الثقافية / . هكذا إذن لا توجد نظرية خالصة تختص بمجتمع محلي منغلقة وينتجها هذا المجتمع بغض النظر عن محيطه العالمي، فالعلم لا يرتبط بدين أو قومية أو أيديولوجيا. وتاريخه منجز إنساني لا يقبل التقسيم الجغرافي والجزر المتناثرة، المنفصلة عن بعضها البعض، فمثلاً، بذور "البنوية" أنتشت في روسيا وترسخت وتفرعت في فرنسا واليابان. وما يعزى إلى جغرافيا دون الأخرى، إنما هو من باب المجاز، لا أكثر. فالعرب شكّلوا الجسر الذي عبرت عليه الثقافة الإغريقية، إلى الغرب. وكذلك العلوم الهندية انتقلت إلى العرب عبر المواقفة. لقد استطاع الكثيرون التعمق بدراسة مفهوم الهوية وخصوبتها ليجدوا أن الأصالة هي الوجه الملاصق للحداثة، وأن فهم الذات الوطنية هو الوسيلة الأكثر موضوعية لفهم الآخر والوعي الذي يضع نفسه على ميزان النقد والمساءلة هو من سيفوز بانفتاحه على الآخر وبالتالي انفتاح الآخر عليه.

فمصير البشرية واحد يجب أن تعيه الطلائع الفكرية وأن تبني مفهومها للذات والهوية على مبدأ وعي الاختلاف في الوحدة والتعددية الثقافية وأن العالم عبارة عن خليط من الثقافات والحضارات المتباينة التي تضيف إلى ما هي كما أضيف إلى نبعها. وهذا ما عناه "المهاتما غاندي" بقوله: / لا أريد لداري أن تحيط بها الأسوار من كل جوانبها وأن تسد نوافذها، أريد ثقافة البلاد كلها أن تهب على داري بحرية تامة، لكنني أرفض أن تقتلني إحداها من الأرض / . وانطلاقاً مما سبق، هل يعقل أن يدعو الدعاة إلى نظريات عربية خالصة مستقلة سواء في العلم أو الأدب أو النقد أو أي مجال آخر. مما يشرع بدوره لإمكانية الحديث عن نظريات إسلامية في الطب والأدب وعلوم النفس والمسرح وغير ذلك؟!

يقول عالم باكستان الشهير "محمد عبد السلام" الحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء: مشكلات العلم وأشكاله ذات طابع عالمي يسهم فيه علماء الكوكب الأرضي كله دون تمييز، وأنه لا وجود لعلم تنتسب هويته إلى دين بعينه أو إلى نظرية سياسية دون غيرها، فليس هناك علم إسلامي أو هندوسي أو يهودي أو كونفوشي أو مسيحي أو ماركسي أو رأسمالي، إلا عندما تسيطر نزعات التزمّت التي تستبدل الأصولية بالوعي النقدي المفتوح .

ولكن أليست العولمة الحديثة المتغولة، الشكل الأكثر بذخاً للأصولية الجديدة، بشمولية خطابها ومحاولتها تعميم ثقافة واحدة على العالم أجمع؟ صحيح أن ثماراً طيبة كثيرة قطفت عن شجرتها وترسخت بوجودها آليات إنتاج المعرفة، وطورت شبكات التواصل الاجتماعي بشكل مذهل ليغدو العالم، قرية صغيرة، سهلت الوصول إلى المعلومة أيما كانت بزمن لا يكاد يذكر. لكن هذه الطفرات والقفزات العلمية العالية أحدثت بالمقابل ثورات عنيفة وخلخلة كونية هائلة في نمط التفكير، مما جعل الشعوب المستضعفة تنكش في قوقع فكرية ضيقة، كمحاولة للدفاع عن ذاتها وهويتها غير المتبلورة، لتشكل بدورها أصولياتها الخاصة التي بدأت قطعانها بالرعى الجائر لكل ما أنجزته من تقدم ومراكمة ثقافية معرفية بحجة الدفاع عن الوجود المهدد. في الواقع كانت هذه المحاولات السلبية لتأكيد خصوصية الهوية تنطلق من هواجس أيديولوجية أكثر منها علمية مستبدلة بالتحليل العلمي، التخييل الأيديولوجي والأقوال البرهانية، بدل بناء الاقتصاد وإنتاج المعرفة بشتى أنواعها، أي بالإيغال في الاستهلاك بدل محاولة الإنتاج. فقد كان البحث عن نقاء الهوية القومية يدفعها لاجترار عزلة قسرية وقسرية التحصين بنفس الوقت في علاقتها مع الآخر كمحاولة وهمية منها لتحقيق إكتفاء ذاتي، مغمضة عيونها عما يجري حولها في العالم. غير مدركة بأنه لا مجال لحجب السيول الجارفة بسدود من طين، فالقادم الموضوعي بحاجة لامتناع ذاتي تفاعلي يؤثر ويتأثر بالآخر عبر المسألة والحوار الإغنائي المتبادل. ونظرية المعرفة "الإبستمولوجيا" تؤكد ذلك بقولها: أن معرفة الأنا لذاتها لا تكتمل إلا بمعرفتها للآخر والتفاعل معه وهذا ما يثبته تاريخنا القومي وتاريخ غيرنا سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي. فالحضارة عبارة عن تناصتات ثقافية حضارية نسقية تبدأ من نقطة ارتكاز أو من تراكم ما، سرعان ما يبني عليه، يؤخذ منه ويضاف عليه، فإذا لم يكن ذلك كذلك فسيختلف نسق المجتمع الذي نحن فيه، عن النسق العام وعن حركة التاريخ، وسيتم هجرانه إلى أنساق أكثر انفتاحاً، أو سيتم اجتياحه بقوة الضرورة الموضوعية، حينها لن يجد ما يدافع به عن نفسه سوى التشرذم واجترار ماضيه بشكل غيبّي مقدماً رسالة وهمية

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن

تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986

المدير المسؤول:

مالك صقور

نائب رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير:

أ. محمد حديفي

مدير التحرير:

د. حسن حميد

هيئة التحرير:

د. سليم بركات، د. مصطفى العبد الله الكفري،

محمد الحفزي، علوش عساف، سهيل الديب

رئيس القسم الفني:

مها حسن

الإشراف الفني:

نضال فهيم عيسى

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:

- غير منشورة ورقياً أو عبر الشبكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسله 800/ ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الإلكتروني hotmail.com@alesboa2016
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة

تعبّر عن وجهة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail :

alesboa2016@hotmail.com

الاشتراك السنوي - داخل القطر: أعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد 2000 ل س - وزارات ومؤسسات 2400 ل س - في الوطن العربي للأفراد 6000 ل س أو 150 \$ - للوزارات والمؤسسات 8000 ل س أو 175 \$ - خارج الوطن العربي للأفراد 20000 ل س أو 360 \$ - للمؤسسات 30000 ل س أو 420 \$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب - دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق - ص ب (3230) - هاتف 6117240-6117241 - فاكس 6117244 - جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل س - في الوطن العربي: 0,5 \$ خارج الوطن العربي 1 \$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشاركين خارج سورية

أعلام

نبيل توفيق حاتم



قاص، ناقد.

مكان وتاريخ الولادة

10 / 6 / 1944

ليسانس تجارة

عضو جمعية القصة والرواية

. المؤلفات:

1. حكايات الصندوق الأسود . دار الكاتب العربي - بيروت - 1997 . مجموعة قصصية
2. فيزا إلى السماء - دار الكنوز الأدبية - بيروت - 2000 . مجموعة قصصية
3. الأباتشي والقمر وأبو زيد الهلالي - دار قصي - دمشق - 2004 . مجموعة قصصية
4. سلطان وليلى وبعض الذئاب - دار الينابيع - دمشق - 2007 . مجموعة قصصية
5. نثر على بوابة الشعر - دار الينابيع - دمشق - 2007 . نصوص أدبية
6. مغامرات في بلاد العرب - دار المدى - دمشق - 2004 . ترجمة بالاشتراك
7. لا تلج في الشام - دار الينابيع - دمشق - 2008 . مجموعة قصصية

آخر

الكلام

أ.محمد حديفي



ثورة آذار ودور الكادحين في قيامها

حياة الجماهير، فقضت على الانفصال وأعوانه، وتسلمت مقاليد السلطة واضحة نصب أعينها ضرورة النهوض بالقضايا الهامة، وإعادة الهيكلة لمؤسسات الدولة التشريعية والتنفيذية، فأعدت الاهتمام بالعمل والفلاح اللذين يشكلان العصب القوي لنهوض الدولة، وعندها أطلق على ثورة الثامن من آذار ثورة العامل والفلاح إذ قامت الدولة بإشراكهما بالحكم، وأفسحت لهما المجال لممارسة دورهما كاملاً، حيث وجهت الثورة اهتماماتها لتمتين وبناء البنى التحتية، ففتحت المدارس والمستشفيات، وشقت الطرق، وعملت على استرجار الكهرباء للريف السوري فانتعشت الحركة الهادفة لتحقيق الاقتصاد، وتقوية أسسه حتى أصبحت الدولة الفتية والحديثة العهد دولة لها مقوماتها وركائزها، وعندها أحس المواطن بالحبوحة ورغد العيش..

تعثرت الثورة في أكثر من مكان بسبب بعض الممارسات الخاطئة التي قام بها بعض الذين كانوا يتسلمون مقاليد الحكم آنذاك، وحينما بدأت الثورة تنحرف عن مسارها الصحيح، وقد بدا ذلك ظاهراً للعيان كان لابد من حركة تصحيح المسار ووضع العربية على السكة الصحيحة، وقد انبرى لهذا الأمر التاريخي الراحل الكبير الرئيس المرحوم حافظ الأسد الذي نهض من بين صفوف الجماهير، وقاد حركة تصحيحية كانت الحدث الأهم في تاريخ سورية في العصر الحديث وشرع ببناء سورية الحديثة، وجعلها دولة شعارها تحرير الأراضي المحتلة، وترسيخ التوازن الاستراتيجي مع الكيان الصهيوني، وجعل من سورية دولة له شأنها في المحافل الدولية، كما أسس جيشها العقائدي الذي أثبت ويجدارة قل نظيرها أنه الجيش الذي يدفع حياته ثمناً لتراب سورية، حين أثبت هذا الجيش عملاً لا قولاً بأنه جيش سورية الأبية التي ترفض الإملاءات، وتصون الحدود، وتقف حجر عثرة في وجه كل مستعمر طامع في ترابها الوطني، وحدودها المقدسة.

أما على الصعيد الاقتصادي فأصبحت سورية في عهده من الدول التي تعتمد على اقتصادها ومواردها الذاتية. وحين تسلم الرئيس بشار الأسد مقاليد الحكم استمر على نفس النهج، وأدار بحكمة لافتة شؤون الدولة، وواصل التدريب يسانه شعب مخلص أمين، وجيش عقد العزم على الثبات حتى آخر قطرة دم لمواجهة أشرس حرب عرفها العالم في العصر الحديث، وها هي سورية اليوم بعد هذه الحرب الضروس تتعافى لتستعيد مكانتها اللائقة بين الأمم، وترمم ما دمره الوحوش القادمون من خلف الحدود.

سورية الآن تقطف ثمار النصر، وتستعد لإعادة البناء، وهي جديرة بذلك فالصعب ذهب إلى غير رجعة، والمستقبل حافل بكل ما هو مشرق وجميل.

mouhammad.houdaifi@gmail.com

حينما يشكل حدث ما نقلة في حياة الشعوب، ويعبد الطريق لعبورها من الظلمة إلى النور، ومن الاستبداد لحكم الأغلبية نستطيع عندها أن نطلق على هذا الحدث تسمية الثورة.

عام ثمانية وخمسين وتسعمئة وألف أقام الشعبان السوري والمصري وحدتهما التي لطالما حلما بها، وعملاً لتحقيقها منذ أمد بعيد، وقد قامت الوحدة استجابة لرغبة الجماهير في البلدين الشقيقين؛ تلك الجماهير التي تحتزن في أعماقها أيضاً من التوق لوحدة الشعوب في كافة الأقطار العربية، لأنها تدرك تمام الإدراك بأن ما يجمع هذه الشعوب وتطلعاتها أكبر بكثير مما يفرقها، فهناك عوامل عديدة توحدنا مثل اللغة المشتركة، والماضي المشترك، والعادات والتقاليد المتشابهة، والأهم من ذلك كله هو رغبة هذه الشعوب في الوحدة التي من شأنها أن تجمع القوى المشتتة والمبعثرة، لأنها لو اجتمعت وتوحدت لشكلت قوة متماسكة مترابطة، وعصية على الركوع والإذعان..

حقق الشعبان العربيان السوري والمصري حلمهما بالوحدة، ولع نجم جمال عبد الناصر في الأوساط العربية والعالمية، وأصبح رائد أحلام الجماهير العربية، واستمرت الوحدة التي كانت تشكو من خلل راح يظف على السطح في بعض المفاصل، ولكن ذلك كله تم تجاوزه من قبل الشعبين حرصاً على استمرار هذه الوحدة الحلم، وكان من أهم منجزاتها صدور قرار الإصلاح الزراعي الذي أنصف الفلاح في كلا البلدين، قضى على الإقطاع المستشري آنذاك، وحول الفلاح من أجير مستعبد إلى مالك للأرض يعمل بها، ويتمتع بمردودها وخيراتها، عندئذ ثارت ثائرة الإقطاعيين المتجزئين في الأرض منذ عقود طويلة، وراحوا يبييتون الدسائس، ويوحدون جهودهم لتقويض أسس الوحدة حتى كان الانفصال الذي أجهض أحلام الجماهير، وخيب آمالها في توحيد الشعوب العربية، واصطفافها بقوة أمام الاستعمار الطامع بالأرض والاستيلاء على مقدرات هذه الشعوب وخيراتها.

تسلم الإقطاعيون مقاليد السلطة في سورية، وهدموا كل الذي رسخته الوحدة، فعاد الإقطاع إلى سابق عهده، وانقسم المجتمع إلى طبقتين حاكمة ومحكومة، الأولى تتنعم بخيرات البلد، والثانية تعمل في خدمتها دون أن يكون لها الحق في أن تطالب بالعدالة والمساواة، فعمت الفوضى، وأحست الطبقة الكادحة بالظلم والقهر، وأحبطت الجماهير، وكادت تصل إلى مرحلة من اليأس بعد تهميشها وإلغاء دورها..

أمام هذه المظالم والخيبات المتكررة كان لا بد من العثور على وسيلة تخرج الشعب مما هو فيه، وتعيد إليه كرامته المسلوبة، وعندها نداعى قادة حزب البعث العربي الاشتراكي، ورسموا الخطط المحكمة لإنقاذ البلد، وقاموا بالثورة التي شكلت فارقاً في

«ما بيننا»

رواية جديدة للأدبية هدى وسوف



صدرت رواية جديدة للأدبية هدى وسوف تحت عنوان / ما بيننا / وذلك عن دار الينابيع بدمشق، وهي مسرودة حب شفيف تعلوها طيوف الروح الأنثوية التي جمعت خيوطها الكاتبة لتكون في قراءة أولى قصة حب شبوب بين اثنين، غارقة بالآلام الجارحة، ولتكون في قراءة ثانية قصة حب وتعلق أبدي بين اثنين أيضاً هما: الناس والأرض في زمن حرب أكل متوحشة، وكلاهما: المرأة في قصة الحب الشارق بالنداوة والصدق لا تنحني، والأرض في وقت الحرب الظالمة وما عرفته، وما عاشته من دمار وأذيات، لا تنحني أيضاً، بل هي القادرة أبداً على خلق نورها الأزلي وجمالها البهار.

/ ما بيننا / رواية حب وحرب، والمرأة صوتها الأول، وصورتها الأولى عبر ثنائية عطشى للسلام والأمان، وعطشى لأشواق الحب ونداءاته الحية.

تجد الإشارة إلى أن الأدبية هدى وسوف، أصدرت من قبل روايات وقصصاً عدة، منها:

- طرقات وعرة - قصص
- جرح صغير - قصص
- ندوب في الذاكرة - رواية
- صباحات لها طعم الدفلى - رواية
- أنين المدى - رواية
- تفاصيل الغياب - رواية

والأدبية هدى وسوف عضو في اتحاد الكتاب العرب. وسوف تصدر لها مجموعة قصصية عنونها: أحبك يا وعل الجبال عن الهيئة السورية العامة للكتاب.